

القوانين الكونية للنجاح والفلاح

قوانين تغيير ما بالأنفس

تأليف

الدكتور محمد إقبال الخضر

الإهداء

إلى كل الذين يعانون في حياتهم ، أنتم فقط من سيفهم هذا الكتاب .
فقط كونوا صريحين مع أنفسكم ، كي لا تدفعوا الثمن مرتين وأكثر

المقدمة :

سعى كل الحكماء عبر العصور إلى اكتشاف سر بناء الإنسان الفعال ، القادر ليس فقط على حل معضلات حياته ، بل أيضاً، على تجنبها إن أمكن . ومن خلال سعيهم نظروا للكثير من الأفكار والتقانات التي اعتبر بعضها مقنعاً مهماً بسبب ما حققته من نجاحات جزئية أو كلية في حياة البشر . ولكن ما إن تتغير الظروف حتى تظهر عيوب تلك الأفكار والتقانات ، وتفقد مصداقيتها جزئياً أو كلياً ، ومن ثم لا يبقى لها كبير أثر في مجال العلم الذي يدرس وينظم ويطور حياة الإنسان الفرد والمجتمع .

لكن هناك ثلة من العلماء خبروا الحياة على حقيقتها وأدركوا أن كل فكرة صحيحة ، تنظم حياة الإنسان الفرد والمجتمع ، يجب أن تكون نابعة من كينونة خلق الإنسان نفسه ، أي من ذات عالمه وليس من التصورات الناتجة عن فهم هذا العالم . ونقصد هنا أن تكون علماً قانونياً نابعاً من طبيعة الحياة البشرية وليس من التفكير بها .

هؤلاء عرفوا أن ما يصلح الإنسان ويسعده ويجنبه الآلام والفشل والانتكاسات ، هو العلم نفسه الذي ينظم بقوانينه الكون أجمع . أي أن هناك قوانين تنظم حياة الإنسان وترقيته ، كما للطبيعة قوانينها التي تنظمها وتحسن تسيير أمورها خدمة للإنسان أولاً وآخرًا .

إن أولوية الإنسان في الكون أساس كل الفلسفات التي تتهل من معين الأديان السماوية والكتب المقدسة وتراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ولهذا فلا معنى لكون منظم بدقة وبأقدار إلهية ومسخر للإنسان ، إن لم يكن هذا الإنسان يمضي أيامه على هذه الأرض بسعادة وهناء . وإن لم تكن حياته عبارة عن سلسلة من الترقى والفلاح بذاته وبجنسه الأسمى في الكون .

لهذا فتح الله على بعض علماء البشر بصيرتهم ونور قلوبهم لفهم الحقائق العميقة التي تسيّر حياة الإنسان بسعادة وهناء ورقي . وتوصلوا بنور الفهم الإلهي العميق إلى أسرار بسيطة في معانيها، عميقة في آثارها ونتائجها المباشرة وغير المباشرة على حياة الإنسان ، والتي تنظم حياته مع نفسه ومع أخيه الإنسان على هذا الكوكب الصغير الذي طالما حمل الآلام والمصاعب والحروب والضغائن التي كان من الممكن تجنبها لو أن هذا الإنسان فهم ما فهمه الحكماء من عباد الله المخلصين من أن هناك قوانين ناظمة تحقق له السعادة في الدنيا والآخرة .

ولكي نتجنب ما وقع فيه أسلافنا وأقراننا من بني البشر ، وما أصابهم من مآسي وآلام وكوارث ومصاعب خلقوها لأنفسهم بما كسبت أيديهم (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (الشورى/30) ¹ علينا أن نتعلم حكمة القوانين الكونية التي تحقق فلاح الإنسان في الدنيا والآخرة .

هذه القوانين ، مجتمعة ، تعلمنا وسائل خلق الإنسان الفعّال المنشود . هذا الإنسان الذي أصبح ، في العصر الحديث هو المعوّل عليه في التنمية والنهضة ، وهو الذي يمكن أن تستمر الحضارة به ومن أجله.

وسنقدم هنا أربعة قوانين رئيسة والعديد من القوانين التابعة لها ، تعيننا على فهم حياتنا ، وتنظيمها والترقي بها ، وتجنب الآلام والكوارث الفردية والجماعية التي نسيبها لأنفسنا ، وهي القوانين التي بها نتمكن من إخراج الإنسان الفعال الكامن بداخل كل واحد منا .

وهذه القوانين الأربعة هي :

- القانون الأول : قانون الذبذبات (قانون الارتداد) .
- القانون الثاني : قانون المسؤولية .
- القانون الثالث : قانون ثنائيات القطبية .
- القانون الرابع : قانون التغيير .

قصة :

دخلنا قاعة التدريب الفاخرة المكيفة الواسعة . ألوانها جميلة بهيجة مريحة للنفس والمشاعر ، تعطيك انطباعاً أولياً أنّ أيامنا الثلاثة القادمة ستكون على ما يرام . كنا قرابة العشرين متدرباً ننتمي إلى عدة شركات . قررنا أن نحضر دورة في تنمية العمل بروح الفريق .

انتظمنا في مقاعدنا فور دخول المدرب بهندامه البسيط وتسريحة شعره العفوية . بدأ يرتب أوراقاً أخرجها من حقيبته ، ووضع حاسوبه المحمول على الطاولة وربطه على جهاز العرض ، وبدأ بعرض فيلم قصير مدته لا تتجاوز خمس عشرة دقيقة .

¹ قد يقول البعض إن لفظ هذه الآية لفظ جماعي ، فهذا يخص المجتمع والأمة . ولكننا نجد في سورة أخرى المعنى نفسه يتكرر ويكون الخطاب بصيغة المفرد (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) (النساء/79) .

لم يقل المدرب أي كلمة كمقدمة للدورة أو للتعارف أو حتى للتعريف بالفيلم القصير الذي بدأ بعرضه . ولizard استغرابنا وتساؤلاتنا ، اكتشفنا أن الفيلم صامت وبدون أي تعليق مكتوب أو مسموع إذا علينا أن نتابع ونشاهد فقط ونستنتج ونتعلم .

بالنسبة إليّ لم أخف سروري وبهجتي بهذا الأسلوب لكوني أحب الإثارة الغامضة والتحدي في الفهم والاستنتاج ، ولا أميل أبداً إلى المعلومات السردية التي طالما جعلتني طالبا مشاكسا في المدرسة والجامعة ، وحتى في البيت.

كان فيلماً علمياً وثائقياً عن حياة النحل في الخلية ، تابعناه من دون صوت أو تعليق . كانت مهمتنا كما بدا لنا أن نفهم شيئاً ما من هذا الفيلم. وما إن انتهى عرض الفيلم حتى أمسك المدرب بالقلم وتوجه إلى لوح الكتابة وسأل ماذا حصل ؟ ماذا رأيتم ؟ ماذا فهتم ؟

وبعد مناقشات مستفيضة عن دور النحلة الواحدة في الخلية ، وعن التعاون ، كما بدا لنا من حركات النحل ، وعن التنسيق والترتيب في الوقت والمكان وتبادل الأدوار بتناوب متناغم مدروس بعناية ، يؤدي إلى أفضل استغلال للموارد المتاحة من وقت ومكان ومخزون غذاء ، وبالتالي تنتظم الخلية كلها على هدف أساسي هو إنتاج الغذاء واستمرار الحياة بسعادة وهناء وآمان للجميع .

بعدها مباشرة عدنا مرة أخرى إلى مشاهدة الفيلم، ولكن هذه المرة مع التعليق العلمي الصوتي الذي يشرح كل خطوة وحركة ومعناها بعد أن فسرها العلماء المختصون بدراسة حياة النحل ضمن خلاياه ، وضمن فرق عمله .. واستمرت أيضا المناقشات والاستنتاجات ، والمدرب في هذه الدورة قلما تكلم ، هو فقط ينظم ويكتب الملاحظات ، ويسجل الاستنتاجات وما يتعلق بها من تأييد أو استنكار . وأخيرا كان يكتب خلاصة ما نتفق عليه .

مضت الأيام الثلاثة بهذا الشكل ، وكان الهدف منها أن نتعلم العمل بروح الفريق ، وكيف أن هذا النوع من العمل يضاعف الإنتاج والإنتاجية¹ ، ويستثمر الموارد المتاحة من مال وعمل ووقت ولكن ليس هذا ما تعلمته فقط !!!

أتذكر ما حييت تلك الأيام الثلاثة ، لأنها علمتني أنه من الممكن أن أكتشف القوانين التي تنظم حياة الإنسان وتجعلها أكثر ثراء وخصباً وسعادة ، انطلاقاً من الطبيعة الثرية بكل ما تحويه من كائنات حباها الله القدرة على التنظيم والتنسيق بغريزة إلهية متناهية الدقة .

إن القوانين التي تنظم حياة الإنسان وتبقيه في سعادة دائمة إن اكتشفها والتزم بها ، هي قوانين كونية إلهية ثابتة ، تحتاج فقط إلى تمعن واستكشاف ، وعمق نظر في هذا الكون الفسيح

¹ إن مفهوم الإنتاج يعبر عن الكميات . أما مفهوم الإنتاجية فهو نسبة المدخلات إلى المخرجات ، فكلما زادت المخرجات وقلت المدخلات كان ذلك معياراً لجودة العمل والإدارة .

الذي جعل الله فيه أسراراً لا يكشفها إلا الحكماء أصحاب النظرة الثاقبة الشاملة المدققة في كليات وجزئيات حركة الكون في الطبيعة والاجتماع البشري .

وبعد هذه الدورة فهمت مقولة قديمة قرأتها لابن خلدون رحمه الله يكمن معناها في أن " سنن الله في كونه ، كسننه في اجتماع خلقه " لهذا بدأت أتساءل : هل كان ابن خلدون يعلم من القوانين الإنسانية والاجتماعية الكثير ، والتي كان يتعلمها من عمق النظر في كتب ثلاثة ، هي : كتاب الله الكريم ، وكتاب الكون الفسيح (الطبيعة) ، وكتاب الكون الآخر (الإنسان / الاجتماع البشري) .

لِمَ لا وهو الذي (أي ابن خلدون) كان يقرأ بعيني القرآن ، أول كتاب أسس مفهوم القوانين (السنن) التي تنظم حياة الإنسان . وهو الذي أكد مراراً وتكراراً على أن السعادة في اكتشاف القوانين والالتزام بها " سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (الفتح / 23) . وما أنا متأكد منه أن العلماء اليوم يعتبرون ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع .

القوانين الكونية والإنسان الفعال :

هل هناك قوانين تصنع الإنسان الفعال ؟ إن كلمة قوانين كلمة صارمة ولا أحد يقبل أن يضعها إلا على ما ثبت يقينا أنه صحيح تام . فالقانون يعني العلم ، والعلم يعني شيئاً مضبوطاً محكماً ، فهل هناك علم يضبط سلوك الإنسان ويحكمه ؟

نحن نعلم أن هناك علماً يضبط الطبيعة ويحكمها ، فالطبيعة تخضع لقوانين (قانون الجاذبية ، قانون دفع الغازات ، قانون الفعل ورد الفعل ، قانون الطفو ، الخ) وهي قوانين كثيرة تعارف عليها بنو البشر وأسموها " القوانين الطبيعية " وهي التي اكتشفها الإنسان ولم يصنعها ، فالله تعالى هو الذي ضمنها في أصل خلق الكون . ومهمة الإنسان اكتشافها واستثمارها .

فقبل اكتشاف قانون الجاذبية كانت هناك جاذبية ، لكن الإنسان لم يصغ قانون الجاذبية حتى استخدم حواسه بدقة وإرهاب ، فاكتشف في الأرض جاذبية تتكرر دائماً فعرف أن وراء هذا التكرار قانوناً ، فبدأ يستثمر هذا القانون . والسؤال هل هناك نفس هذه القوانين تخص بناء الإنسان ورفع فعاليته ، وتحقيق سعادته ؟

إذا كنت تبحث مثلي عن الإنسان الفعال وطرق بنائه وتفعيله فلا بد أنك ستدرك أن هذا يحتاج إلى قوانين صارمة ونافذة وكونية ، أي شاملة . ولمثل هذا الأمر تحدث الفيلسوف الباكستاني " محمد إقبال " رحمه الله ، في قصيدة له واصفاً الحكيم " سقراط " وهو يبحث عن

الإنسان الفعال بين جموع الناس ، مشعلاً شمعة في وضوح النهار ، فيسأله الناس في السوق عن ماذا تبحث أيها المعلم ؟

فيقول لهم أبحث عن إنسان .

فقالوا له ولماذا تنير الشمعة في وضوح النهار ؟

فيقول لهم : آه ظننت أنه الظلام ، فأطفأ شمعته ، واستمر ببحثه وتجواله .

فقالوا له السوق مليء بالناس فلم التجول كثيراً ؟

فقال لهم هؤلاء بهائم وليسوا إنسان .

ثم يصوغ إقبال رحمه الله الفكرة بقصيدته :

رأيت الشيخ بالمصباح يسعى له في كل ناحية مجال

يقول ملئت أنعاماً وبهماً وإنساناً أريد فهل ينال

فقلنا ذا محال قد بحثنا فقال ومنيتي هذا المحال

إن القوانين الكونية للنجاح والفلاح ، هي قوانين بناء الإنسان الفعال ، أو قوانين تغيير ما بالأنفس . وهي القوانين التي تسهل علينا بناء الإنسان الفعال والمجتمعات الكفؤة.

فإذا اكتشفنا وتعلمنا هذه القوانين فإن تغيير ما بالأنفس يصبح علماً متحكماً به ، ويسهل تطبيقه لكل من أتقن هذا العلم . وبالتالي فإن تغيير ما بالأنفس يصبح أمراً مسخراً لكل من أتقن هذا العلم (القوانين) .

وكما قال أحد أشهر علماء المسلمين " ابن تيمية " رحمه الله ، وهو يتحدث عن هبة الله بتسخير ما في السموات وما في الأرض للإنسان " وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ " (الجاثية / 13) ، فقال ابن تيمية رحمه الله : إن تمام الفهم ، كمال التسخير . أي إذا حصل الإنسان الفهم التام لظاهرة ما ، حصل له التسخير لهذه الظاهرة . فهذا الكون يخضع لك أيها الإنسان ، لكن بشرط أن تمام الفهم ، هو الذي يقود إلى كمال التسخير .

وفي عرضنا لهذه القوانين سنشرحها على محورين رئيسيين هما محور الفرد ، ومحور المجتمع .

أما محور الفرد فسنعطي أمثلة كثيرة عنه في مجالات خمسة رئيسية هي :

1. الصحة : وكيف أن مخالفة القوانين هي المرض نفسه .

2. الوفرة والمال : وكيف أن الفقر نتاج عقل الإنسان وعجزه عن التفكير القانوني الإيجابي .

3. الحياة العاطفية : وكيف أن الكثير من الناس عانى في حياته لأنه لم يفهم أن للعلاقات العاطفية بين البشر قوانين تنظمها وتقودها للنجاح والفلاح .

4. الحياة الأسرية : فكم من أسر تهدمت لا لأن أطرافها أشراراً سيئين ، بل لأنهم ما عرفوا أن كل ما افتعلوه في حياتهم كان مخالفاً لقوانين كونية قادتهم إلى الشقاء والفرقة.

5. العلم : ولو عرف الإنسان أن تحصيل العلم له قوانينه الناظمة لسهّل على نفسه معاناة أشقت عمره ، ودعتة يفضّل الجهل على هذه المعاناة .

أما محور المجتمع ، فالحديث فيه يطول ويطول ، والأمثلة تكثر وتسخر خاصة في ظل الظروف التي نمر بها من الثورات التي عمّت الكثير من دول الوطن العربي ، وانغمست بها شعوبها دون أن تعرف كيف تخرج منها سالمة أو حتى نصف سالمة .

لماذا يجب أن نتقن علم القوانين الكونية للنجاح والفلاح :

لماذا نتعلم قيادة السيارة مثلاً ؟ لأننا بكل بساطة نحتاج إليها لتسهيل التنقل والتمتع بالحركة السهلة الخفيفة من مكان إلى آخر . أي باختصار تحقيق المزيد من الفعالية في الحياة وفي استثمار مواردنا المتاحة من وقت وجهد ومال . وكذلك الأمر بالنسبة لتعلم القوانين الكونية ، إنها التي تعيننا على الاستثمار الأمثل لمواردنا المتاحة ، بل هي نفسها علم الاستثمار الأمثل للموارد المتاحة .

إن الاستثمار الأمثل للموارد المتاحة هو الذي يحقق لنا تحسين إنتاجنا (المادي / الفكري / المعنوي) وإنتاجيتنا . وهذا الاستثمار الأمثل لا يكون إلا بتطبيق القوانين التي تبني الإنسان الفعال ، الذي هو وحده القادر على حسن استثمار الموارد المتاحة .

ولكن ما هي الموارد المتاحة لنا ، والتي يجب على الإنسان الفعال حُسُن استثمارها ؟ يمكننا تقسيم الموارد المتاحة إلى ثلاث فئات رئيسية ، وهي :

1. الإنسان : ويملك القدرة العضلية والفكرية .

2. المادة : وتتضمن كل الموجودات المتحركة أو الثابتة ، المصنعة أو الخام .

3. الوقت : وهو العنصر المهم غالباً عند إنسان الالفاعلية .

ولكن لو نظرنا ملياً إلى هذه الموارد لوجدنا أن :

الوقت مورد غير مستقل بذاته ، ولا يعمل آلياً منفرداً ، بل هو خاضع لإرادة الإنسان وعلمه وقدرته على التخطيط والتنظيم ، أي أنه تابع وليس مستقل ، ومشكلته ، إن كان به مشكله ، فهي تكمن في الإنسان وليس في الوقت ذاته . إذ إن حسن استثمار الوقت يكون بوجود الإنسان الفعال الذي يتقن قوانين استثمار الوقت .

وعنصر المادة أيضاً ، ليس مستقلاً بذاته ، بل هو الآخر تابع للإنسان الفعال أو اللافعال . وحسن استثمار المادة يتبع نوعية الإنسان الذي يتقن قوانين استثمار المادة أو يجهلها . أما العنصر المتبقي وهو الإنسان ، فهو العنصر الرئيس والأساس في عملية حسن استثمار الموارد . فالإنسان يقدم نوعين من العمل :

1. العمل العضلي المتناقص بسبب تطور العلوم والتكنولوجيا .
2. العمل الفكري الذهني (توليد أفكار جديدة) والذي هو المعول عليه في الوقت الحاضر ، ويغلب فيه الاعتماد على عقول الأكفاء لتحقيق المزيد من الفرص المادية والروحية والثقافية ، التي تعين على ترقى الإنسان ، أو للأسف تسفله وانحطاطه .

إن حسن استثمار الموارد المتاحة السالفة الذكر ، والتي تمتلكها كل المجتمعات ، ويمتلكها كل الأفراد (كما سنبين لاحقاً) يحتاج إلى قوانين ، إلى علم ، وهذا نفسه علم تغيير ما بالأنفس ، أي علم تغيير طرق التفكير ، أي تغيير العقلية والذهنية السائدة والتي خلقت لنا الكثير الكثير من المشكلات الحالية ، والتي لن نستطيع حلها أبداً بنفس الذهنية السائدة .

لذا فإن الغاية العليا لتعلم القوانين التي تنظم حياة الإنسان الفرد والإنسان الجماعة ، هي تحقيق السعادة لهذا الإنسان في الدنيا والآخرة . ويكون ذلك عبر حسن استثمار الموارد المتاحة بين يدي الإنسان . ويبقى أهم مورد هو الإنسان نفسه بقدرته على التفكير وتوليد الأفكار التي تسيّر باقي الموارد ضمن خطط ممنهجة واضحة .

عندما يشعر الإنسان بالألم فهو مخالف لقانون ما . لذلك عليه دراسة هذا العلم لكي يتخلص من الألم ويحصل على اللذة بمعناها الواسع الدنيوي والأخروي . فالقوانين كلها موجودة في الطبيعة وموجودة في القرآن ، لكن لماذا لا يتحول القرآن إلى سلوك عند البعض ؟

الجواب بكل بساطة أن الإنسان لم يقرأ القرآن قراءة قانونية . وهاك مثالاً على القراءة

القانونية :

قانون التخلص من الشقاء :

الآية الكريمة التي يقول فيها جل وعلا في مطلع سورة طه : (طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ، فالآية تتحدث عن مركبات ثلاث وهي : طه (الإنسان) - القرآن - الشقاء .

والآية تتحدث عن أن " طه " يجب ألا يعيش الشقاء لو تعرف على القرآن وفهمه . والعكس بالعكس ، " طه " سيعاني من الشقاء إذا ابتعد عن القرآن . فهذا قانون الشقاء ، وللتخلص منه يجب التنبه إلى أوامر الله في القرآن وتطبيقها فيزول الشقاء ، وإذا لم يزل فهذا يعني أن الإنسان لم يحسن فهم أوامر الله ، أو لم يطبقها . وصدق من قال : إذا أصبح تغيير ما بالأنفس علماً ، بدأت النهضة .

القدرات البشرية المعلومة والمجهولة :

لنطبق التمرين التالي :

مُدِّ يدك إلى الأمام ، وتخيل أنها قطعة واحدة من الفولاذ وليس فيها أي مفصل ، قطعة واحدة من الكتف إلى الرسغ . ما عليك إلا أن تتخيل ذلك ، وليأت أحد أصدقائك ويحاول أن يثنيها . ليس مطلوب منك أن تقاوم ، بل فقط تخيل أنها قطعة من الفولاذ الصلب بدون مفصل . ومهما حاول صديقك أن يثنيها فلن ينجح . ولو غيرت في التمرين وسمحت له أن يحاول ثنيها وأنت تبذل قوة مقاومه له ، فسيثنيها إن كان أشد منك قوة ، أما في الحالة الأولى (وأنت في حالة التخيل) فلن يستطيع حتى لو كان أشد منك قوة .

فما الذي حصل في هذا التمرين ؟

ما حصل هو أنك تستطيع فعل الكثير بمجهود قليل لو استعنت بقدراتك الداخلية الكامنة التي تجهلها (قانون الجهد الأقل) وهي هنا قوة التخيل . ولتفعيل هذه القوة يحتاج منك أن تستخدم طاقتك وليس قوتك ، حيث هناك فرق بين الطاقة والقوة . ولهذا حديث آخر في مكانه المناسب .

فالقدرات البشرية نوعان:

1. نوع معلوم (مستثمر - وغير مستثمر / معطل) .

2. نوع مجهول , وموجود في داخلك لكن لا تعلم عنه شيئاً أي أنه معطل .

وهدفنا في هذا الكتاب أن نحول القدرات المعلومة المعطلة إلى مستثمرة ، والقدرات المجهولة نحولها إلى معلومة مستثمرة . وهذا جزء من التكليف الإلهي للإنسان .

وكما قالت الآية : (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ " (السجدة / 9) (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل / 78) .

ومن الأمثلة على القدرات المجهولة : كان أحد العلماء يعمل ضمن فريق استكشافي في أدغال أفريقيا ، وأثناء مراقبته لأحد الكائنات الدقيقة ، نسي نفسه وهو يسجل ملاحظاته فابتعد عن الفريق الذي يعمل معه ، ثم سمع صوت أحد الحيوانات المفترسة قريباً منه يريد أن يأكله فهرب بسرعة كبيرة وقفز على شجرة بارتفاع عال لم يسبقه إليه أحد (وهذا يعني أنه عمل ضمن القدرات المجهولة التي تظهر في اللحظات الاستثنائية) .

ومثال آخر : أراد أحد المدربين أن يطور قدرات فريقه في السباحة فأطلق خلف كل سباح متدرب بعد نزوله إلى الماء تمساحاً حقيقياً ، ليحفزه على تطوير قدراته بدافع الخوف والاضطرار ، فأدى هذا التمرين إلى تحسين أداء الفريق بنسبة جيدة جداً حيث أصبح كل سباح يعمل على الجهد العالي غير المعتاد ، ومع التكرار يصبح هذا الجهد طبيعياً معتاداً عليه .

يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله : (كل إنسان قادر بالميلاد والتربية تجعله قادراً بالفعل) فكل إنسان قادر على السباحة بالميلاد لكن لن يصبح سباحاً إلا حين يتدرب . وكل إنسان قادر على النطق بالميلاد ، ولكن لا ينطق حتى يسمع اللغة من بيئته المحيطة . فكل قدرات الإنسان كامنة ، والبيئة تجعلها فاعلة ، أو خامدة .

قصة جدار الملك

يحكى أنه في إحدى الممالك الغنية ، أمر ملكها المبجل ببناء قصر جديد فيه كل آيات الفن والجمال من عمارة وزخرفة وصالات استقبال مبهجة وحدائق جميلة وفسح سماوية ، لتبهجه في آخر عمره .

وما أن انتهى بناء القصر وتزينه وفرشه حتى دخله الملك ليتفقدده ، فأعجب بكل موضع فيه لما شمل على تنوع الألوان والأشكال والروعة المبهجة .

إلا أنه وجد في داخل القصر جداراً عريضاً عالياً ملوناً بلون واحد جميل ، إلا أنه خاوٍ من التزيين والزخرفة والجمال ، ولمساحته الكبيرة رآه الملك عيباً كبيراً كنقطة سوداء في ثوب أبيض . شعر الملك بالضيق لهذا الفراغ الذي قطع عليه متعة النظر والتجول في هذه الآلية الفنية المعمارية .

صرخ بكبير بنائي القصر : إن عيبك هذا أذهب جمال القصر وبهاءه كله ، ولا أقبل منك هذا أبداً .

احترار كبير البنائين بأمره ، وقال : بماذا تأمرون أيها الملك المبجل ؟

اغتاظ الملك لردة فعل كبير البنائين ، وقال له : جد لي حلاً يرضيني وإلا هدمت القصر كله فوق رأسك .

تدخل أحد المستشارين الحكماء ، وقال : أيها المبجل ما رأيكم أن نرسم عليه لوحة جدارية هائلة تكون أعجوبة من عجائب الدنيا في تفرداها وجمالها .

أعجب الملك بهذه الفكرة ، وقال : نعم ، باشروا فوراً برسم هذه اللوحة ، ولتكن فريدة زمانها في هذا العالم كله .

جمع المستشار جميع خبراء هذا الفن ، وشاورهم في أمر اللوحة وموضوعها ونوع فنها وكيفية تنفيذها . فاختلف الجميع ، كلٌ يريد وضع ميله الذوقي والعقلي في هذه اللوحة ، فمنهم من يريد أن ترسم بيد فناني الشرق العظماء ، ومنهم من يريد أن ترسم بيد فناني الغرب المبدعين .

عظم الخلاف بين أهل الخبرة والاختصاص ، فقام المستشار برفع القضية إلى الملك ، الذي قال : حسنا ضعوا ستاراً يقسم الجدار إلى قسمين منفصلين ، بحيث لا يرى من يعمل في أحدهما العامل الآخر . وآتوني فنانيين من الشرق والغرب ، كلٌ يعمل في موضع من المواضع ، وليرينا كلٌ أهل فن أيهم الأفضل .

فأتى فنانيين من الشرق يعملون على يمين الستار الفاصل ، وفنانيين من الغرب يعملون على يساره ، واتفق معهم على موعد معين لانتهاء كل فريق من لوحته ، وتُرك لهم أمر اختيار موضوعها ليحصل التناظر بين فن الشرق وفن الغرب ، أيهما أجمل ؟

بصمت يتفقد الملك العمل بعد أيام من البدء به ، فرأى ما أثار استغرابه ، فنانوا الغرب يرسمون ويلونون ، وفنانوا الشرق يلمعون الجدار ، فقط يلمعون الجدار .

ومرت أيام أخر ، وتفقد الملك العمل باللوحة ، ووجد نفس ما استغربه في المرة الأولى ، فنانوا الغرب يرسمون ويلونون ، وفنانوا الشرق يلمعون الجدار ، فقط يلمعون الجدار .

انتهت المهلة المعطاة لكلا الفريقين . وحضر الملك ليُمَتِّع عينيه بما منى به نفسه من فن وإبداع استقدمه من مشارق الأرض ومغاربها ، طامعاً أن يحصل على لوحة لم يسبق لها مثيل في العالم كله .

وقف الملك بوقار وهيبة ، وأمر أن يرفع الستار المسدل بين جانبي الجدار ، هذا الستار الذي فصل بين فناني الشرق والغرب كيلا يعلم كل فريق ما يفعل الفريق الآخر .

رُفِع الستار ، وبان الجدار كاملاً ، ليتفاجئ الملك بأن أهل الغرب قد رسموا لوحة جميلة مبدعة ذات ألوان وتفصيل دقيقة مذهشة . ولكن أهل الشرق لمَّعوا الجدار ، فقط لمَّعوا الجدار .

كان جداراً صقياً مذهلاً بنقائه وبهائه ، كالمرآة المدهشة بنورها وصورها المنعكسة عنها .

ولكن أين اللوحة ؟ تساءل الملك ناظراً إلى مستشاره باستغراب .

تبسم المستشار ، وأشار إلى الملك أن انظر الآن .

نظر الملك إلى الجدار الملمع كالمرآة ، وإذا بلوحة أهل الغرب قد انطبعت فيه ، وظهرت
ببهاء ونور شابه الأصل وكأنه هو .

المستشار : أيها الإنسان المبجل ، كلما لمعت جدار قلبك وعقلك ، انطبعت فيه كل
الحقائق والجماليات .

" انتهت القصة "

أيها الإنسان ، هذه إحدى وسائلك لاكتساب المعرفة ، هذه إحدى قدراتك المخبوءة على
التعلم . أنت تتعلم فقط بعقلك ، ولا تعلم أن لديك القدرة لتتعلم بروحك . هكذا أنت بصفاء قلبك
ونور روحك تحسن التلقي ، هكذا أنت بصفاء قلبك ونور روحك ، تصبح عميقاً جميلاً
بالحكمة والمعرفة .

الصفات الأساسية للقوانين الكونية :

للقوانين الكونية الناظمة لسلوك الإنسان ، والصالحة لفاعليته ، والتي تعينه على تغيير ما
بنفسه ، صفات وخصائص مشتركة ، تميزها عن باقي القوانين ، كالقوانين الوضعية مثلاً . ومن
أهم هذه الصفات والخصائص ما يلي :

1. حيادية : لا تحابي أحداً . فلو وقع طفل صغير خطأً من ارتفاع شاهق فإنه سيتأذى ،
ولا يستطيع أحد أن يقول إن هذا الطفل بريء لا ذنب له ، لماذا ؟ لأن قانون الجاذبية
حيادي لا يعرف التعاطف مع أحد ضد أحد . وكذلك القوانين الكونية التي تسير حياة
الإنسان حيادية لا تحابي أحداً . ونتيجتها ستقع حتماً ولن تنتهي حتى يصلح الإنسان
المخالفة التي ارتكبها ، مهما كان جنس هذا الإنسان أو دينه أو وطنه .
2. شمولية : كونها كونية فهي مُتضمَّنة في كل الموجودات ، وموجودة في كل مكان .
وهذا ما يفرقها عن القوانين الوضعية التي يضعها البشر وتخص شعباً معيناً من
الشعوب أو دولة من الدول ، ولا تلزم شعباً أو دولة أخرى . أما القوانين الكونية في

الطبيعة والاجتماع البشري فهي حاكمة لكل المخلوقات البشرية مهما اختلفت أماكن عيشهم وجنسياتهم وأديانهم وأعرافهم .

3. **ثابتة** : لا يمكن إيقاف عملها ، لكن يمكن مغالبتها بقانون آخر . وهذا يعني أنك لا تستطيع أن تلغي قانون الجاذبية ولكن تستطيع أن تخفف من أثره بمغالبتة بقانون آخر ، كقانون دفع الغازات الذي يتيح للمظلي (مثلاً) الهبوط بسلام على الأرض دون إلغاء للجاذبية ولكن بتخفيف أثرها بقانون آخر . والحال نفسه في القوانين الإنسانية والاجتماعية كما سنرى في سياقه المناسب .

4. **حتمية** : بمجرد أن خالفت قانوناً ما وقعت العقوبة حتماً وبشكل آلي لا مجال فيه لأحد ، ما لم تتدارك الأمر قبل نفاذ الوقت ورسوخ المخالفة . ولهذا شرح كثير في ثنايا الكتاب .

قصة :

التقى أحد المعلمين الحكماء رجلاً يسير فرحاً متفائلاً ، خطواته واسعة ونشطة ، وعلامات القوة تبدو عليه واضحة . استوقفه المعلم باستغراب فهو يعرفه منذ سنين طويلة حزينا كئيباً متشائماً مسوّفاً ، لائماً غيره دائماً . سأله ، وهو يرجو أن يكون قد فهم القوانين بعد طول عناء :

- المعلم : أخبرني مالذي غيرك ؟
- الرجل : لقد حلت كل مشاكلي دفعة واحدة والله الحمد .
- المعلم : كيف ؟
- الرجل : لقد طلقت زوجتي ، وبعثت منزلي ، وتركت عملي ، وأنا الآن سأغادر هذه المدينة إلى مدينة أخرى . سأبدأ حياة جديدة ، وأعمل عملاً جديداً ، وأتزوج من امرأة أخرى صالحة .
- المعلم بصمت وحزن يقول : المسكين يحمل طريقة تفكيره معه ، وسيحصل على ما حصل عليه دائماً .

الفرق بين النجاح والفلاح :

مما تعارف عليه العقلاء أنه " إذا كان الأجود ممكناً ، الجيد غير مقبول " . وكذلك الأمر في النجاح والفلاح . إذا سعينا إلى الفلاح وفهمنا قوانينه ، فلن نكتفي بالنجاح . وذلك لأن النجاح على الأغلب يكون فردياً ذاتياً لشخص واحد أو لفئة قليلة من الناس . أما الفلاح فهو

جماعي شامل . فالمفلح لا يكون مفلحاً إلا إذا ساعد الآخر (كائناً من يكون) على أن يفلح أيضاً .

النجاح قلما يكون دائماً ، أما الفلاح فهو من الفلاحة أي أن هناك جذوراً ضاربةً في الأرض ، رسخته وعمّقه ثم أنتجته فوق سطح الأرض ثابتاً راسخاً مورقاً مفيداً للجميع . وفي القرآن الكريم هناك استخدام كثير جداً لمفهوم الفلاح ، بينما لا نجد كلمة واحدة عن النجاح . فالفلاح مفهوم قرآني رباني بامتياز . أما السائد بين الناس فهو النجاح فقط . وفي التنافس بين الناس والأقران سيسعى كل فرد إلى النجاح ، وبالتالي فهو سيسعى آلياً لكي يسبق غيره ولا يسمح له بالإنجاز الأمثل ، بل وربما لا يسمح له بالنجاح نهائياً .. أما في الفلاح ، فإن المفلح لا يكون مفلحاً إلا إذا ساعد غيره على الفلاح . فالتنافس في الفلاح هو في العطاء وليس في الأخذ . (..... وَفِي نِكَ فُلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين / 26) .

في كتابه " العادة الثامنة " يقول " ستيفن كوفي " : بعد سنين طويلة من تأليف كتابي العادات السبع للناس الأكثر فعاليةً ، وجدت أن بعض الناجحين الذين درست سيرتهم قد فاق البعض الآخر بأشواط مذهلة. فأردت أن أعرف كيف تفوقوا على أقرانهم المتفوقين ؟ يقول : وجدت السر في أن الذين أصبحوا أكثر فعالية ونجاحاً قد قاموا بمساعدة غيرهم على النجاح وكسب الفعالية ، وهذا سر تفوقهم الاستثنائي . وقد أسمى هذا السر بالعادة الثامنة . وما العادة الثامنة عنده إلا خُلُقُ الإنفاق في سبيل الله . (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (*) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُمْ لَا يُنْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة / 261 - 262) .

" من أساسيات الفلاح ، أن تساعد غيرك على الفلاح "

القانون الأساس الأول

قانون الذبذبات أو قانون الارتداد

شعار هذا القانون : ما يخرج منك يرتد إليك مضاعفاً .

بدأ علماء الفيزياء الحديثة وما يسمى بفيزياء الكوانتم (Quantum Physics) يدرسون تفاصيل الذرة وبنيتها ، ووصلوا إلى النواة ودخلوها ، وكان الاكتشاف المذهل ، أن ما نسميه فراغاً هو ليس بفراغ بمعنى الكلمة ، وأن هذه المساحة الموجودة والفاصلة بين أي شيئين تحتوي على شيء هو الطاقة ذات الذبذبات والتموجات .

وما فاجأ العلماء عند دراسة المادة أن أكثر من 90% منها هو هذا الفراغ المجازي، والذي هو ليس بفراغ بل طاقة لها ذبذبات . وأيضاً ومن خلال التلسكوبات تبين أنه أكثر من 90% من الفضاء هو هذا الفراغ المجازي وهو أيضاً ليس بفراغ بل هو مليء بالطاقة ذات الموجات والذبذبات .

إذاً وصل العلماء إلى نتيجة مؤكدة وهي أن هذا الذي نسميه "فراغاً" ليس بفراغ، بل هو يحوي شيئاً ، وأن هذا الشيء الغريب (الطاقة) له ذبذبات ، وأن هذه الذبذبات لها تأثير علينا سواء شعرنا بها أم لم نشعر . ومؤخرًا اكتشف العلماء أن جسم الإنسان نفسه يصدر موجات وهذا ما تم من خلال أجهزة راسم الإشارة (جهاز تخطيط الدماغ وجهاز تخطيط القلب) ، فالدماغ والقلب يرسلان موجات ، ومن خلال هذه الموجات يعلم المختصون إن كان الوضع الصحي سليماً أو غير سليم.

وقانون الذبذبات يقول: إن كل شيء في هذا الكون له ذبذبات وإن كل مادة لها ذبذبات تختلف عن الأخرى وتميزها عن غيرها ، وإن هذه الذبذبات تعود إلى النقطة التي خرجت منها في حركة دائرية متناوبة . والعلماء يعلمون ومن خلال بعض أجهزة القياس نوع المادة من قياس موجاتها وذبذباتها . فإذا وضعنا مادة ما تحت الاختبار فإن أجهزة قياس الذبذبات تعطينا جواباً عن نوع هذه المادة ، هل هي الحديد أو النحاس أو غير ذلك ...

وعلم الفيزياء يخبرنا ، أن كل شيء موجود في حالة احتمالية ، وأن أفكار الإنسان تؤثر على هذا الوضع الاحتمالي وتغيره . فأفكار الإنسان تصدر ذبذبات أيضاً تؤثر في الوضع المُفكّر به ، وتغير توجهه من احتمالية إلى أخرى . ولعل هذا يعتبر من أهم اكتشافات البشر في

العصر الحديث ، إذ مؤداه أن الإنسان يشارك بصنع واقعه عبر طريقة تفكيره . والسؤال الآن ، إذا كنا نحن البشر لنا هذه الذبذبات التي تصدر عبر القلب والدماغ وكامل الجسد ، فهل نستطيع معرفة نوع الإنسان أو حالته من خلال ذبذباته وقياس موجاته ؟

للإجابة عن هذا التساؤل قام العالم الأمريكي "ديفيد هاوكينز"¹ بتجارب مضمينة دامت أكثر من ثلاثين سنة ، وطبقها على آلاف الحالات البشرية ، وكان قد طرح سؤالاً مهماً مفاده : ما هو سبب المرض الجسدي أو النفسي؟ وهل العلاج وفق المنهج الغربي صحيح وقادر على شفاء المرضى أم لا ؟

اكتشف " هاوكينز " من خلال أبحاثه أن كل مريض نفسي يحمل ذبذبات منخفضة جداً ، وأن كل الأصحاء نفسياً يحملون ذبذبات إيجابية عالية وقوية . وقد استخدم لذلك كافة أجهزة قياس الذبذبات عند الإنسان ، كأجهزة تخطيط القلب والدماغ والرنين المغناطيسي .

وكان من جملة ما عمله هذا العالم أن أتى بإنسان حزين مكتئب ووضع تحت أجهزة قياس الذبذبات ورسم الإشارة ، فوجد أن ذبذباته منخفضة جداً جداً . ثم أتى بعد ذلك بإنسان آخر مبتهج وفرح ، يضحك غالباً ويلقي دائماً ببعض الدعابات ، فوجد أن ذبذباته عالية وجيدة .

ثم أتى بأناس مرضى فوجد ذبذباتهم منخفضة جداً ومتوافقة مع شدة مرضهم وحالتهم النفسية . ثم أتى بأناس أصحاء (رياضيين) وأقوياء بدنياً ، فوجد أن ذبذباتهم عالية .

وهكذا استمر ببحثه لأكثر من ثلاثين سنة وهو يعمل على هذا الموضوع² ، وطبقه على آلاف الأشخاص الذين أخضعهم لهذه التجارب نفسها . حتى وصل إلى يقين مفاده : أن هناك موجات عالية للصحة وموجات منخفضة للمرض . وقال في هذا المجال مقولة شهيرة : إذا أردت أن تتشافى فعليك أن تعيش ذبذبات الشفاء العالية ، وإذا أردت أن تبقى في المرض رغم كل الأدوية التي تتناولها فابقي في ذبذبات المرض المنخفضة .

وبعد ثلاثين سنة طويلة من البحث فكر هاوكينز " أنه يقيس فقط ذبذبات السعداء والتعساء ، فلم لا يقيس ذبذبات الأشخاص الروحانيين الذي يمارسون العبادات والتأملات؟ " وفعلاً بدأ بالتجربة على إنسان بوذي وهو يقوم بجلسة التأمل ، فتفاجأ أن هذا الشخص قد سجل أعلى ذبذبات وهي ما أسماها ديفيد هاوكينز (بموجات الشفاء) وقال : إذا استطعت أن تعيش فترة من الزمن تتجاوز الأيام والأسابيع وأنت دوماً في موجات روحية عالية تبدأ أمراضك بالشفاء حتى لو كانت أمراضاً مستعصية .

¹ ديفيد هاوكينز : (28 فبراير 1913 - 24 فبراير 2002): بروفييسور أمريكي اهتم بفلسفة العلوم، والرياضيات، والاقتصاد، وتعليم العلوم للأطفال، والأخلاق، وشغل منصب المؤرخ الرسمي لمشروع مانهاتن.

² ولمزيد من البحث حول هذا الموضوع يرجى مراجعة كتاب ديفيد هاوكينز وعنوانه : power vs force

وهنا يطرح سؤالٌ نفسه بقوة ، ما مصدر هذه الذبذبات ؟ وما الشيء الذي يمكن أن يغير ذبذبات الإنسان إلى الأحسن أو الأسوأ ؟

ما اكتشفه ديفيد هاوكينز وغيره من العلماء (كما سنرى لاحقاً) أن تفكير الإنسان هو المسؤول عن نوع ذبذباته وقوتها . فبكل بساطة مصدر الذبذبات هو: التفكير (طريقة تفكيرك تحدد نوع ذبذباتك) ، وكما نعلم فإن التفكير واللغة وجهان لعملة واحدة ، فلا تولد فكرة إلا لغوياً ولا نقول كلمة إلا لنعبر عن فكرة ما مهما كانت بسيطة . ولهذا فالذبذبات القوية تنتج عن كلمات إيجابية أي أفكار إيجابية، والعكس بالعكس ، فإن كل فكرة/ كلمة سلبية تنتج موجات وذبذبات سلبية منخفضة مؤذية لصاحبها ولمن حوله .

الفكر واللغة وجهان لعملة واحدة :

يقول الفقيه اللغوي "محمد البهي الخولي" - رحمه الله - : " ما من علة في فكرنا، إلا ووراءها علة لغوية " ، أي أن الضعف الفكري سببه ضعف لغوي والعكس بالعكس . ولهذا نرى كل الأمم تهتم بلغتها ونشرها وتعليمها لأبنائها ، خشية أن يظهر جيل ضعيف لغوياً ، فيكون ضعيفاً فكرياً وعلمياً .

من قبل الميلاد طرح الفلاسفة سؤالاً : أيهما أولاً الدجاجة أم البيضة ؟ والخلاف مستمر حتى الآن عن الإجابة . وأيضاً سألوا : أيهما يطرأ على الذهن البشري أولاً ، الفكرة أم الكلمة ؟ وقالوا من وقتها أن ما يطرأ على ذهن الإنسان أولاً كلا الأمرين معاً . فالإنسان تطراً على ذهنه فكرة ما وهذه الفكرة تظهر على شكل لغة ولا شكل آخر لها غير اللغة.

إذا الفكرة هي الكلمة ، والكلمة هي الفكرة . ومنذ الآن عندما نقول كلمة نقصد الفكرة أيضاً، وعندما نقول فكرة ، نقصد الكلمة أيضاً ، وأي تغيير يحصل في إحداهما فقد حصل في الآخر في الوقت نفسه .

وبهذا نكون قد عرفنا كيف نسيطر على أفكارنا السلبية ونغيرها إلى إيجابية، وذلك لكي نخلق فينا ومنا ذبذبات إيجابية تنعكس علينا كأحداث إيجابية . كل ذلك يكون بترديد كلمات إيجابية (صامته/ معلنة) غالباً حتى ندمن العبارة الإيجابية، وتكون العبارة السلبية غريبة عن طريقة تفكيرنا . وبهذا نضمن أن قانون الذبذبات (الارتداد) يعمل لصالحنا .

قاعدة : ألق القبض على نفسك وأنت تتكلم كلمات سلبية .

تمرين :

راقب نفسك وأنت تتكلم ، خاصة اللغة الصامتة بداخلك . إن كانت كلمات سلبية ، راقب أثرها على مشاعرك . ثم راقب أثرها على نشاط جسدك... ستجد نفسك مكتئباً حزينا قلقلنا ، ثم ستجد جسدك خاملاً متوتراً . الآن بدل الكلمات السلبية إلى كلمات إيجابية تخص الموضوع نفسه الذي كنت تتكلم/ تفكر فيه ، ثم راقب مشاعرك ونشاط جسدك... قارن بين الحالتين... أنت الآن تمتلك الوعي بكل حالة ، وبالتالي تمتلك الوعي بالحالة التي تريد أن تكون عليها... الوعي هو الشفاء .

أمثلة عملية :

بعض الطلاب في المدارس أو الجامعات يقولون : " مناهجنا سيئة ، مناهجنا صعبة ، ومشكلة التعليم عندنا في مناهجنا ومعلمينا الذين لا يفقهون شيئاً ، والتعليم فاشل في بلادنا " إن مثل هذه العبارات السلبية التي يرددتها الطلبة غالباً تطلق من عقولهم وقلوبهم ذبذبات سلبية تترد إليهم على شكل موجات سلبية مضاعفة تشل حركتهم الفكرية الإبداعية ، وتقيد نشاطهم العقلي والبدني ، وتدعمهم حيارى لا يعرفون وجهتهم السليمة ، ولا يعرفون كيف يعوضون النقص الحاصل في مناهجهم ومعلميهم ، هذا إن كان هناك نقص حقاً .

أما عبارة من مثل : " إن مناهجنا جيدة ولكن تحتاج إلى جهود إضافية منا حتى نصل بها إلى درجة عالية من الكمال والتمام ، ومعلمينا جيدين ونحن من يجب أن نساعدهم بمزيد من الانتباه والتساؤل والتفكير حتى نستخرج أفضل ما عندهم من العلم " .

إن مثل هذه العبارة الإيجابية تحفز في الطالب قدرات إضافية كامنة ومخبوءة في عقله الباطن ، وتنظم سلوكه تجاه العمل الجاد وبطاقة إيجابية توافقية سلسة ، تجعله يتابع تحصيله العلمي المتزايد بجهد متناقص نتيجة حصوله على طاقة إيجابية نبعت من الفكرة/ الكلمة الإيجابية . وهذا ما سنشرحه بالتفصيل اللازم عند دراسة قانون " استخدم طاقتك وليس قوتك " .

والآيات الكريمة التالية في سورة إبراهيم تتحدث عن ذلك ، وعن نتيجة أسماها القرآن الكريم (دار البوار):

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ) (إبراهيم /24-28)

والآيات الأخر تربط العمل الصالح بالقول السديد ، حيث تقول :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (الأحزاب/70-71) .

وكمثال آخر على اللغة السلبية : يدرس طلاب الاقتصاد عند بداية دخولهم الجامعة وفي السنة الأولى فكرة أولية مفادها أن **الموارد محدودة والاحتياجات متزايدة** ، وهذه الفكرة يدرسونها عند معالجة قضية أساسية وهي المشكلة الاقتصادية ، أي ما هي المهمة الأساس أو المشكلة الأساس التي على علم الاقتصاد معالجتها وحلها ؟

طبعاً الإجابة جاهزة وقد صيغت على يد الاقتصادي البريطاني " آدم سميث " وهي : بما أن الموارد محدودة والاحتياجات متزايدة ، فمهمة علم الاقتصاد هي التوفيق بين الموارد المحدودة والاحتياجات المتزايدة ، وهذا هو جوهر الاقتصاد الرأسمالي .

إن هذه الفكرة السلبية أدت إلى نتيجة كارثية على البشرية وهي الاستعمار . فبما أن الموارد محدودة ، والاحتياجات متزايدة ، فلا مجال ولا حل (وفق العقل الغربي) إلا بالحصول على موارد الأمم التي لا تحسن استثمار مواردها ، ولا تحسن الدفاع عن أراضيها التي تحوي هذه الموارد .

إن فكرة أي كفرد ، أو كدولة ، لا أملك موارد مادية كافية ، لا يعني أن هذه الموارد ليست موجودة في الكون . إن فكرة التعايش والتبادل والتشارك هي حل المشكلة الاقتصادية على المستوى الفردي والجماعي ، وليس الاعتداء والاستيلاء هو الحل .

فرب إنسان ما ، لديه فكرة استثمارية مذهلة وأدها ولم يحسن استثمارها فقط لأنه فُكّر بعدم وجود موارد مادية لديه . وإنسان آخر لديه فكرة استثمارية نافعة ، عرضها على إنسان لديه موارد مالية ، وتشاركاً في العمل والأرباح ، خدما نفسيهما وخدما البشرية بهذا التشارك . فالقاعدة الطاقية تقول :

" إذا لم يكن بيدك ما تحتاج إليه ، فهذا لا يعني أن ما تحتاج إليه معدوم "

ابحث في كونك ، ستجده إن كنت أهلاً لإيجاده .

يجب أن نتذكر دوماً أن الكون يتمتع بالوفرة ، وقد خلق على مبادئ وقوانين منها الوفرة . ومنها أنه مسخر للإنسان مُلبِّ لاحتياجاته وليس لتبذيره وطيشه . والمشكلة الاقتصادية الأساسية هي ظلم الإنسان ، بتبذيره ونهبه لحصة أخيه الإنسان ، ونكرانه للنعمة وعدم الشكر عليها . والآيات الكريمة التالية توضح ذلك : (**وَاتَّكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**) (إبراهيم /34) .

(أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُغْلِبُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) (النحل / 17 - 21) .

في العصر الحديث أثبت علماء الزراعة والفيزياء والكيمياء الحيوية ، بعد أن قاموا بتطوير ما يسمى بالهندسة الجينية ، أثبتوا إمكانية الزراعة حتى في الأراضي الصحراوية . ومن خلال الهندسة الجينية أصبح من الممكن مضاعفة الغذاء أضعافا مضاعفة وبدون أعراض جانبية ، وذلك بتطوير سلالات من البذار والغلات الزراعية تناسب كل أرض وكل مناخ على حدة . إذا العلم يمكننا أن نزيد الوفرة ونزيد الإنتاج مهما زاد عدد السكان .

ومن أمثلة ذلك: ما قام به مجموعة من العلماء المصريين بتطوير سلالات من حبة القمح، تناسب أرض مصر الصحراوية، وتحمل حرارة الصحراء، وتحتاج إلى القليل من الماء، وتنتج محصولا مضاعفاً ذا جودة عالية، لأن بذاره متوافقة مع طبيعة الأرض المزروعة فيها . وقبل ذلك كانت التجربة الهندية في بداية ثمانينيات القرن الماضي ، حيث أنهت هذه التجربة المجاعات المتتالية التي كانت تقع في الهند . وكما قال العالم المصري فاروق البار :

" إن حدود الثروة هي حدود العلم" .

علماء فيزياء الكوانتم (Quantum Physics) يقولون (بمجرد أن تتعامل مع المادة بإيجابية أو سلبية ، فأنت تغير في تركيبها) . ففي أبحاثه الشهيرة ، قام العالم الياباني " مازارو آماتوا " بدراسة أثر أفكار الإنسان ولغته على ذرة الماء ¹ ، ووصل إلى نتيجة مفادها أن الماء يخزن ذاكرة معلوماتية كاملة عما يدور حوله من أفكار وتوقعات ومشاعر للإنسان .

¹ لمزيد من الاطلاع ، يرجى مراجعة بحث في الانترنت بعنوان " رسالة من الماء " باللغة العربية أو باللغة الإنكليزية " Massage from the water " للعالم الياباني masaru emoto . وكذلك البحث المذهل لنفس العالم ، والمسمى تجربة الرز . حيث أتى بثلاثة أوعية زجاجية ووضع فيها نفس كمية الرز والماء . وقال لأول عبارات إيجابية ، وللثاني عبارات سلبية ، وأبقى الثالث مهملًا . فكانت نتيجة التجربة بعد 8 أسابيع أن العينة التي قيل لها عبارات إيجابية بقيت سليمة ، أما العينتان الباقيتان فقد تعفنتا كليًا ، خاصة التي قيل لها عبارات سلبية ، حيث تعفنت قبل العينة المهملة . راجع البحث على اليوتيوب : masaru emoto rice experiment .

هذا البحث بلغ من الأهمية أن حدد بالضبط ما تفعله الكلمة الطيبة في بنية الماء ، وما تفعله الكلمة الخبيثة في بنيته . فبمجرد أن تقول للماء وأنت تقصده كلمة أحبك ، ثم تفحصه تحت المجهر الذي يكبر الذرة ملايين المرات ، ترى أن بينة الذرة في الماء قد تغيرت إلى شكل هندسي جميل جدا ، والعكس بالعكس .

هذا البحث قاد الحكومة اليابانية إلى نشره ونشر صور ذرات الماء تحت المجهر في الإعلانات الطرقيّة ووسائل الإعلام المختلفة ، وذلك لنشر ثقافة عامة بين الناس تظهر أهمية تخاطب البشر مع بعضهم البعض بلغة طيبة لطيفة .

هل تتوقع الآثار الارتدادية الإيجابية لانتشار الكلمات الطيبة بين الناس ؟ الآثار على الفرد والمجتمع . خاصة إذا علمت أن 70% من جسم الإنسان مكون من الماء . هذه الآثار تنتشعب لتصل إلى تطور التعليم وانتشاره ، ثم تحسن المستوى الصحي وتخفيف النفقات على الأدوية والأمراض ، ثم رفع المستوى النفسي والمعنوي لعامة الشعب ، ثم أثره الفعال على انخفاض مستوى الجريمة والخوف في المجتمع ، ثم أخيراً وليس آخراً حصول الوفرة الاقتصادية والتراكم الرأسمالي للثروات .

كل هذا يحصل بأثر الكلمة الطيبة بين الناس ... ماذا لو كانت هذه الكلمة خبيثة ؟ أيضاً لها آثار ارتدادية ، لكن هذه المرة أثر سلبي تراكمي ، على الوعي والتعليم والصحة والأمن والوفرة . إذا في الحالتين (الإيجابية والسلبية) للكلمة أثر ارتدادي قوي بقوة الذبذبات التي نتجت عن الكلمة / الفكرة والمشاعر التي ترافقها .

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ)
(يس/12)

النباتات تفهم لغة الذبذبات :

أحد أهم الأشياء التي أذهلتني في الحياة وغيرت نظرتي للكون كله ، تعلمي أن النبات يشعر ويحب ويكره . حيث قام العلماء¹ بإحضار نباتات متنوعة وقاموا بتوصيلها بأجهزة راسم

¹ لمزيد من البحث راجع كتاب " النبات يحب ويتألم ويقرأ أفكار البشر " - للكاتب " راجي عنايات " - إصدار دار الشروق ، الطبعة السادسة ، 1995 . وكذلك تابع على اليوتيوب مواضيع تحمل نفس الفكرة حول مشاعر النباتات وفهمها لأفكار ومشاعر الإنسان .

الإشارة وقياس الذبذبات ، ثم بدؤوا بعزف الموسيقى بجانب النبات ، فبدأت أجهزة القياس تسجل ذبذبات منتظمة ورائعة .

وفي هذه الأثناء قام صاحب التجربة وبشكل مفاجئ بقطع أحد أوراق النبات ، وإذ بالأجهزة تعطي إشارة مضطربة فوراً ، ثم أعاد إسماع النبات الموسيقى الهادئة ، فعادت الموجات كما كانت . ثم قام بتغيير الموسيقى الهادئة إلى موسيقى صاخبة مليئة بالضجة فتغيرت الموجات فوراً إلى موجات مضطربة متسارعة .

فهل النبات يشعر بهذه التبدلات ؟ التجربة أثبتت ذلك ، وأجهزة قياس الذبذبات سجلت ذلك لحظة ف لحظة ، وهذا علم تجريبي وليس ظنا عقليا . فهل من الممكن أن نقول إن هناك علم نفس للنبات كما للإنسان . وأن النبات كما يتأثر بالبيئة المحيطة به ، كذلك يؤثر فيها أيضاً . العلماء أكدوا أيضاً على شيء أسموه "علم نفس الجنين" وتوجد كتب وأبحاث بهذا الخصوص ، حيث أكد العلماء وعبر التجارب العملية أن الجنين يتأثر ليس فقط بالحالة النفسية لأمه ، بل أيضاً بالأصوات والأحداث التي تجري حوله . ولكن هل الجنين (وفق قانون الذبذبات / الارتداد) يؤثر بأمه وبالبيئة المحيطة به ؟ سؤال مهم جداً .

الجمادات تفهم لغة الذبذبات :

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّنْبُجَ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (الإسراء / 44) .

بعد توصل الإنسان ، بالتجارب العملية المخبرية ، إلى أن جميع المعادن لها ذبذبات ، وأن كل شيء في الكون يعيش واقعاً احتمالياً ، وهذا الواقع يتغير بالأفكار/الذبذبات البشرية المنتشرة به . فهل من الممكن أن نصل يوماً ما إلى ما يمكن أن يسمى علم نفس المعادن ؟ أي هل من الممكن أن نعرف أن هذا المعدن أو ذاك ، أو هذه الآلة أو تلك مرتاحة ومطمئنة أم لا ؟ كل شيء ممكن لكن نحتاج إلى التجربة العلمية وليس الاستنتاج العقلي ، فالاستنتاج العقلي غير كاف وحده .

أحد أصدقائي يمتلك سيارة قديمة ومهترئة ، وطالما تندرنا عليه وعلى سيارته العجيبة ، كيف أنها تسير رغم منظرها المضحك وعمرها المديد . قال لي في يوم من الأيام - وكنا نناقش موضوع الذبذبات وأثره على الأشياء - هل تعلم أنني عندما أكون مضطرباً ومتضايقاً فإن سيارتي القديمة تتعطل كثيراً ، وعندما أكون راضياً عنها معتزلاً بها وبأصالتها وبقدرتي على حسن التعامل معها، تخدمني بفعالية نادرة ، وتأخذني إلى أماكن أتحدى السيارات الحديثة أن تستطيع الدخول

إليها؟ هكذا يقول : تأخذني... ولم يقل أخذها... ويقول أن اليوم الذي يتندر به الناس عليّ بسبب سيارتي، وأتأثر بكلامهم ، فإن سيارتي تتعطل في هذا اليوم .

وفي إحدى الدورات أكدت لي ربة منزل أنها في اليوم الذي تشعر فيه بالضيق من صغر منزلها وقدمه ، وتشتكي من زوجها الذي لم يوفر لها بيتاً واسعاً جديداً ، في هذا اليوم ، وفي كل مرة ، لاحظت أن أنابيب الصرف الصحي تتعطل وتسبب مشكلة في البيت قد تصل إلى حد النزاع والاقتيال مع زوجها . وأنه عندما تكون راضية سعيدة مطمئنة لا تحصل مثل هذه المشاكل رغم أن الأنابيب هي نفسها . وقد لاحظت تكرار ذلك عدة مرات .

وهنا لدينا قاعدة مهمة سندرسها بالتفصيل في قانون " الدعاء " وقانون " التوقع " وهي أنه لكي تحسّن واقعك عليك أولاً بقبول الواقع الذي أنت فيه . إن مجرد قبولك وتسليمك يجعلك في حالة ذنبية / فكرية عالية تؤهلك للحصول على ما هو أفضل والعكس بالعكس . فهل بدأنا بفهم مشكلة الفقر والفقراء ، وعجزهم عن تجاوز الحالة التي هم عليها .

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (سورة إبراهيم / 7) .
(... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا * ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) (سورة الطلاق / 2-4) .
إذا أين تكمن مشكلة الفقراء ؟ ... في أنفسهم.

وبالعودة إلى أبحاث "ديفيد هاوكينز" - الذي اكتشف أن سبب كل الأمراض النفسية والعضوية هو ذبذبات سلبية، أي أفكار/ كلمات سلبية - نجد أنه اكتشف أيضاً أن موجات وذبذبات كل شخص إيجابي تعادل بالقوة أربعة آلاف شخص سلبي ، ولهذا قال أن مدينة تعداد سكانها أربعة ملايين نسمة ، يكفي أن يوجد بينهم ألف شخص سعيد متفائل لكي يكون جميع سكان المدينة سعداء .

أي أن شعباً بتعداد الشعب السوري مثلاً (24 مليون نسمة)، بحاجة إلى (6 آلاف) شخص متفائل وسعيد وواثق بنفسه ومطمئن غالباً . إذا توافر هذا العدد فإن كل سكان سورية سيكونون سعداء مطمئنين بتأثير هؤلاء السعداء .

وهذا له تفسيره العلمي الفيزيائي ، فسكان دولة ما يمثلون حقلاً طاقياً واحداً يتأثر هذا الحقل بذبذبات كل واحد منهم ، وبدوره يؤثر الحقل فيهم جميعاً¹ .

¹ انظر فكرة الحقل الطاقى ونظرية البناء والتدمير الذاتى ، ص 28 .

إذا الأشخاص الإيجابيون يمتلكون موجات عالية ، بحيث يستطيع شخص واحد مواجهة موجات أربعة آلاف شخص سلبي . فإذا كان لديك مشكلة بينك وبين مديرك ، بينك وبين صاحب الشركة التي تعمل بها ، بينك وبين والدك أو والدتك ، أو أي إنسان ، فقط تخيله أمامك وأرسل له ذبذبات إيجابية (عبر التفكير) عدة مرات يومياً ، ولمدة أسبوع أو أكثر (حسب قوة المشكلة ، وحسب حالة المرسل والمتلقي) ، عندها تبدأ مشكلتك بالتلاشي شيئاً فشيئاً . وسرعة الحل تعود لقوة ذبذباتك ونقائها ، وهذا نتاج لصفاء نيتك وصدق حبك للخير للطرف الآخر¹ .

ومن أهم مصادر الذبذبات الإيجابية ذكر الله جل وعلا ، خاصة تلاوة كتابه الكريم (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/28) . وأيضاً هناك مصادر كثيرة للطاقة الإيجابية والذبذبات الإيجابية مثل الغذاء الصحي ، الأماكن الجميلة ، الأشخاص الطيبين ، ولكن هذا كله لا يشكل إلا 15 % فقط من المصادر، أما الباقي أي الـ 85 % فهي ناتجة عن أفكارك أنت . فرب امرئ يذكر الله وهو في حالة متوترة وقلقة ومتشككة بوعده الله، فلن يستفيد كثيراً ، كالذاكر المطمئن الواثق بوعده جل وعلا .

استخدم طاقتك وليس قوتك:

"يطالب الناس بحرية التعبير كتعويض عن حرية الفكر ، التي نادرا ما استخدموها"... كيركيجارد

إن حسن استثمارك لما تملك ، يؤهلك لامتلاك ما لا تملك . هذه القاعدة من أهم القواعد الحياتية المعاشة ، فأنت إذا استثمرت طاقتك / قدرتك بشكل حسن ، زادت فرصتك لاستقبال واستلام المزيد والمزيد ، لأنك بحسن استثمارك ترفع من أهليتك لتقبل المزيد .

كالرياضي الذي يتدرب يوميا على حمل ثقل متوسط ، فإن حملة لهذا الثقل سيزيد من قوته العضلية ويؤهله لحمل المزيد من الأثقال . والعكس صحيح ، فإذا لم تستثمر ما لديك ، فسوف تخسره . وهذا ما يعبر عنه بالطاقة المتحركة والطاقة الخاملة ، فكل طاقة متحركة بشكل سليم (المال مثلاً) هي طاقة نامية ، وكل طاقة خاملة راكدة ، هي طاقة معرضة للضياع والهلاك .

فإذا كنت لا تمتلك القوة الكافية لاسترداد حَقك الذي ضاع منك ، فاطمئن ، أنت تمتلك الطاقة الكافية واللازمة لاسترداد هذا الحق . وإذا كان لديك مشكلة ما ، لا تقدر على حلها ، اطمئن لديك الطاقة الكافية واللازمة لحلها، (... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...) (الرعد/ 11) .

¹ وهذه التقنية سندرسها بالتفصيل في فقرة استخدم طاقتك وليس قوتك ، ص 25 .

ولعل هذه الفكرة من أكثر الأفكار ثورية في تاريخ البشرية ، ومن أكثرها قدرة على إحداث تغيير لو أُحسِنَ تطبيقها .

الطاقة تتبع الفكر : فإذا فقدت القوة ، لم تفقد الطاقة ، لأنه يستحيل فقدان الطاقة لمن عنده فكر ووعي وروح . فالطاقة تتبع الفكر ، وتنمو بالاتجاه الذي ينمو فيه . فإن توجهت أفكارك إلى الإيجابية توجهت طاقتك إلى النمو والتعاضد ، وإن توجهت أفكارك إلى السلبية توجهت طاقتك للانخفاض والتدمير ، وحينها لن تنفك قوة في الأرض .

الطاقة والقوة وجهان لعملة واحدة ، ولكل وجه صفته الخاصة به . وإن استخدمت القوة وحدها لن يفلح في مواجهة قوة أكبر منها . أما استخدامها مع الطاقة فإنها تصبح قوة فعالة بناءة تساعد الجميع ، وربما حتى أعدائك أو من تتصورهم من أعدائك .

إن كان لديك رصيد من طاقة إيجابية ، فإنك تستطيع أن تفعل به الأعاجيب إذا عرفت قوانين هذا الفعل . فكلما استثمرت طاقتك زادت ونمت ، وكلما استخدمت قوتك نقصت وتلاشت . وكما قال الحكيم الصيني "لاو تسو" في كتابه "فن الحرب": أفضل المحاربين هو الذي يستعد ولا يقاتل .

القوة ، بحسن استثمارها ، تعطيك مزيداً من الطاقة ، والطاقة تساعدك على تسخير قوى لا تعلمها ، ولكنها تصبح طوع بئانك، (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال / 60) .

فعلى سبيل المثال ، المال طاقة ، والإنفاق في سبيل الله هو تحريك واستثمار للطاقة ، والطاقة إذا تحركت ، نمت وتعاضدت وخدمت جميع من يحترمها ويقدرها .

القوة وحدها يمكن تدميرها بقوة أكبر ، أما الطاقة وحدها ، أو القوة مع الطاقة (النور) فلا يمكن تدميرهما ، (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة/32) . لأن الطاقة إذا عملت نمت وتعاضدت وخدمت وتركت آثاراً إيجابية حيث حلت .

القوة حركة وانفعال وهجوم وتراجع ، أما الطاقة فسكون وهدوء وتغلغل داخلي يحدث أثراً خفياً لا يمكن مقاومته بسهولة . من يستثمر طاقته يستطيع أن يؤثر في الآخر أكثر ممن يستخدم قوته . لذا وجدنا حرص الأديان السماوية كافة على التسامح .

وعليه نجد أن العدل قوة ، أما الإحسان فإنه طاقة ، وهما متداخلان مع بعض . فلو طبقت العدل لأوجدت معه الإحسان ، ولكن لو طبقت الإحسان لضاعفت العدل عدة مرات . الإحسان أقل كلفة من العدل وأميل إلى النور، والعدل صارم ورحمته في إعادة الحق لأصحابه.

كذلك الصبر قوة ، أما الرضا فهو طاقة . فلو صبرت فأنت تستخدم قوتك لمواجهة حدث سيئ طراً عليك نتيجة مخالفة قانون ما . أما لو رضيت ، فأنت تفهم وتقبل وتستسلم لإرادته جل وعلا ، فتشعر أن ألمك قد زال حتى قبل حل المعضلة .

مثال عملي :

إذا حصل خلاف بينك وبين شخص ما ، حول أمر ما . فبإمكانك استخدام القوة ، كاستدعاء الشرطة ، أو تقديم شكوى للقاضي ، أو حتى يمكنك الاستعانة عليه بآخرين لضربه وكسر إرادته . ولكن كل هذه الحلول لها رد فعل يساويها في الشدة ويخالفها في الاتجاه ، وتكون بذلك قد بدأت ، من دون قصد منك ، عملية التدمير الذاتي ... فما العمل ؟

استخدم طاقتك وليس قوتك !!!

في لحظة صفاء ونقاء وراحة جسدية وذهنية وعاطفية وروحية ، اختل بنفسك في مكان هادئ ، وتخيل الشخص الذي اختلفت معه أمامك . وابدأ بمخاطبته بعبارات إيجابية وبأفكار بناءة وتعاونية بهدف حل الخلاف المشترك بينكما . أرسل له كل هذه الأفكار والعواطف الإيجابية وكأنه أمامك تكلمه ويكلمك وجها لوجه . كرر هذه الجلسة عدة مرات ولمدة أسبوع على الأقل ... وانظر ماذا سيحدث ؟

أولا ثق أن الأفكار والتمنيات الطيبة التي أرسلتها قد وصلت إلى الطرف الآخر ، وثق أن الطرف الآخر يتصرف وفقاً لها ، وليس وفقاً لما تعتقد أنت عنه سابقاً . لا تتفاجأ إذا حصل شيء غريب بينكما ، كأن يتصل بك أو يرسل أحداً ليعيد الصلة بينكما . عندها لا تتردد استثمر الفرصة وأنه الخلاف بأقل ما يمكن من التكلفة في الوقت والجهد والمال .

تم تطبيق هذه التقنية مع حالات كثيرة من الخلافات بين الأزواج مثلاً ، حيث انتهت بها مشكلات كادت أن تصل بأصحابها إلى الطلاق وتفكك الأسرة وضياع الأولاد . وطبقناها كذلك مع حالات كثيرة من الخلافات المادية بين شركاء تجاريين ، وبين إخوة متصارعين على توزيع إرث آبائهم فيما بينهم ، وتمت كل هذه الحالات بنهاية سعيدة ، وكان دوماً شرط نجاحها هو صفاء الفكرة وقوة نية المرسل لها وحالته الإيجابية .

ومن أحد الأمور المهمة التي يجب أخذها بالحسبان عند اقتناعك بقاعدة استخدام طاقتك وليس قوتك ، أنك بمجرد رؤيتك لشخص ما ظهرت عليه علامات نعمة ما ، فإن أول ما عليك فعله هو أن ترسل إليه أفكاراً إيجابية ، تبارك له بها هذه النعمة ، وتتمنى له الدوام والبركة والزيادة ، ثم بعد ذلك اطلب لنفسك مثله وأحسن .

وفي هذا يقول "ديفيد هاوكينز" في واحدة من أهم اكتشافاته : إذا أردت أن تنجز هدفاً ما ، فلتكن ذبذباتك / أفكارك مساوية لذبذبات هذا الهدف ، أي مساوية لأفكار وذبذبات الذين أنجزوا نفس الهدف قبلك .

وإذا أحببت أن تنصح أحداً ما بنصيحة هامة وخشيت أن يغضب منك ويفهمك خطأ ، فأرسل له النصيحة عن بعد ، على شكل ذبذبات موجهة إليه ، مع التكرار عدة مرات ، ويجب أن تكون في كل مرة على ثقة أن الفكرة قد وصلت. وهنا لا يهم أن يعرف من أرسلها . وتذكر أنك هنا ترسل الفكرة لتنصح وتدله على جادة الصواب وليس لتفضل عليه وتشعر أنك أرقى منه... استخدم طاقتك وليس قوتك.

ما الذي حصل في الربيع العربي ، والثورات العربية ؟ الذي حصل أن الجميع تقريباً استخدم قوته وليس طاقته . وهذا ما أدى إلى ولادة ردة فعل معاكسة في الاتجاه ومساوية في الشدة ، وأدت في النهاية إلى الدخول في النفق المظلم للتدمير الذاتي .

وما مشاهد البنى المادية التي تقع يوماً بفعل عتاة المجرمين ، إلا ردة فعل لما في نفوس الناس من أفكار متصارعة ومتقاتلة ، تفتك بأصحابها أولاً ، وبممتلكاتهم وثروتهم ثانياً . وما المستفيد النهائي إلا العدو الحاقد الذي يعمل في الخفاء ، ويسعى لتغذية استمرار المعركة ويحول دوماً لمنع توقفها . ولتوقف هذه المأساة قوانين كونية نظمها الله جل وعلا ، وما على الإنسان إلا فهمها وحسن تطبيقها... "حتى يغيروا ما بأنفسهم".

حرية التعبير قوة ، وحرية التفكير طاقة . الأولى غير مضمونة دوماً ، الثانية هي في داخلك وتحت تحكّمك . إذا استثمرت ما في داخلك (طاقة) وتحت تحكّمك ، حصلت على ما تحتاج إليه من خارجك (القوة) . (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...) (الرعد/11) .

إذاً قانون الذبذبات يقول: ما يخرج منك يرد إليك مضاعفاً ، فعندما ترسل إلى الناس ذبذبات إيجابية فإن نسخة مطابقة ومضاعفة مما أرسلت سيرتد إليك . وهذا لب ما تعلمناه حتى الآن وهو (طاقة الكلمات) ، فاللغة طاقة مؤثرة ، إيجابية كانت أم سلبية ، ولك الخيار فيما يخرج منك وفيما يرد إليك .

الحقل الطاقى ، ونظرية البناء والتدمير الذاتى :

" إن المدن تنتصب فوق أعمدة روحية ، كالمرايا العملاقة ، وهي تعكس قلوب ساكنيها ، فإذا أظلمت هذه القلوب ، وفقدت إيمانها ، فإنها ستفقد بريقها وبهاءها . لقد حدث ذلك لمدن كثيرة ، وهو يحدث دائماً ..." .
إلف شافاق - رواية قواعد العشق الأربعين ص 75 .

لكل إنسان منذ لحظات تشكُّله الأولى مجال طاقي ، غير مرئي ، يسمى الهالة أو الحقل ، وهذا الحقل يكون على شكل بيضة محيطة بكامل جسم الإنسان ، وهو يخلق مع بداية تكوينه . ولكل شيء موجود في الكون - حتى المكونات التي نسميها مجازاً بالجمادات - حقل طاقي أيضاً، وهو كذلك يتشكل لحظة تشكل هذا الشيء .



حقل طاقي لفتاة صغيرة ، تم تصويره بكاميرا العالم الروسي " كيريليان "

ولكل إنسان حقل خاص به . لكن هذا الإنسان ، عندما يتشارك الحياة مع إنسان آخر ضمن مؤسسة يتعاقدان بنية جازمة على بنائهما - كالزواج مثلاً - فإنهما يشكِّلان حقلاً جديداً ثنائياً هو حقل الأسرة الكلي، والذي يكون فيه حقلاً الزوجين متداخلين مع بعضهما البعض، وضمن الحقل الكلي الأكبر المشكل من الاثنين معاً ، وهو حقل الأسرة ، وهكذا العائلة .
ولشرح هذا التداخل نعطي مثلاً مشهوراً الكل يعرفه ، وهو أنك لو وضعت قطعة إسفنج في حوض ماء ، فإن الإسفنج في الماء ، والماء في الإسفنج ، متداخلان مع بعضهما

البعض. وهذا التداخل بين الماء والإسفننج لا يعني زوال مادة وطبيعة كل مكون من مكونات التداخل . كذلك التداخل الطاقى أو الاندماج الطاقى ، يُنشئ حقلاً كلياً ، يحتفظ فيه كل حقل من الحقول باستقلاله وكيونته مع اندماجه ، إلا إذا حصل تغير في أحد الحقول ناتج عن التغير في الأفكار وطريقة التفكير مثلاً .

والأمر كذلك لكل مؤسسة يتعاقد البشر على تأسيسها والعمل بها بالنية الذهنية التي تشكل حقلاً طاقياً يضم حقول كل الأفراد العاملين بها والشاعرين بالانتماء إليها . فكل مؤسسة تجارية أو صناعية أو غير ذلك ، لها حقل طاقى يتأثر بذبذبات كل أفرادها ، خاصة الأفراد الفاعلين بها .

ولهذا تسعى كل المؤسسات الواعية ، لتوظيف الأشخاص الإيجابيين (النظيفين طاقياً) خشيةً على حقل المؤسسة الكلي أن يتلوث ويتأثر بأفراد يبتئون ذبذبات سلبية ربما تؤدي بأرباح المؤسسة إلى التهلكة ، وربما بحياتها .

هل للمدن حقل طاقى جماعى مشترك؟

نعم لكل مدينة حقل طاقى مشترك ، يتأثر إيجاباً وسلباً بذبذبات أبناء هذه المدينة ، وساكنيها المؤقتين وزائريها . وكل ما يحدث في هذه المدينة من إيجابيات (الارتقاء الروحي ، النشاط العلمي ، الإنجاز المدنى العمرانى ، ... الخ) يحدث بتأثير كبير من سيادة الأفكار/الذبذبات الإيجابية في هذه المدينة .

وكل ما يحدث في هذه المدينة من سلبيات (الجريمة ، الأمراض ، حالات الطلاق ، حوادث السير ، ... الخ) يحدث بتأثير كبير من انتشار وسيادة الأفكار/الذبذبات السلبية في هذه المدينة . ويبقى تصنيف هذه المدينة إيجاباً أم سلباً ، والعيش فيها سعيداً أم شقيماً ، يعود إلى نوع الذبذبات الغالبة فيها ، الإيجابي أم السلبي .

وقس على ذلك فهناك حقل للمجتمع ، وآخر للدولة ، وثالث للأمة ، وحقل للكورة الأرضية يضم حقول بني البشر فرادى وجماعات ومدن ومجتمعات وأمم وبنى ومؤسسات معنوية ومادية . وهذا الحقل ، مثله مثل كل الحقول الصغيرة والكبيرة ، ليس مغلقاً ، بل منفتح على الداخل والخارج ، يتبادل الأثر بكلا الاتجاهين . وتبقى نوعية الحياة التي نحيها تعود بدرجة كبيرة منها إلى نوعية هذه الحقول التي صنعناها بأفكارنا ، ومستوى جودتها .

ولكن كيف يحدث البناء الذاتى ، والتدمير الذاتى ؟

يحدث كل ذلك ضمن الحقول الطاقية ... فكل حقل طاقى إيجابى ، تعمل مكوناته على أساس البناء الذاتى . وكل حقل طاقى سلبى ، تعمل مكوناته على أساس التدمير الذاتى . وهذا ينطبق على كل الحقول انطلاقاً من الحقل الطاقى للإنسان الفرد ، ومروراً بالإنسان الأسرة

والمجتمع ، ووصولاً إلى الإنسان الكون . وهذا يكون في كل المجالات المادية والصحية والعاطفية والثقافية والعائلية والسياسية والأمنية .

فكل حقل طاقي تشبّع بفكرة وفكرة مضادة ولم تستطع إحداهما التغلب على الأخرى ، تبدأ فيه حلقات من التدمير الذاتي . وذلك لأن لكل فعل ردة فعل مضاد، يساويه في الشدة ويعاكسه في الاتجاه .

مثال عملي :

لو دفع أحدهم طاولة باتجاه آخر ، وقام الآخر بنفس الوقت بدفع الطاولة في الاتجاه المعاكس وببنفس القوة ، فماذا سيحصل للطاولة ؟ ستبقى في مكانها لن تتحرك ، بسبب خضوعها لقوتين متعاكستين متساويتين .

ولو استعان الأول بمن يساعده في دفع الطاولة ، ورد عليه الآخر بالاستعانة بنفس القوة ، فماذا سيحصل للطاولة ؟ أيضاً ستبقى في مكانها لن تتحرك .

لكن لو استعان الأول هذه المرة بقوة كبيرة هائلة لدفع الطاولة ، فإنها ستتدفع حتماً إلا إذا استعان الآخر بقوة هائلة مساوية . فماذا سيحصل للطاولة ؟ هذه المرة أيضاً لن تتحرك الطاولة باتجاه ما ، بل ستتخطم في مكانها بتأثير قوتين متعاكستين كبيرتين ومتساويتين . وهذا يسمى الانهيار تحت فرط الطاقة .

هذا ما يحصل عند حدوث عملية التدمير الذاتي ، لكنها عملية داخلية وليست خارجية . ولن تلبث طويلاً البنى المادية الخارجية أن تستجيب للبنى الطاقية الداخلية وتبدأ بالدمار أيضاً . وعندها لا أحد يعرف سبب هذا الدمار (مرض ، فقر ، حروب ، تمزقات أسرية واجتماعية ، حوادث طبيعية ، ... الخ) ولا كيف يوقفه .

هذا لأن قلة من الناس من يعرف أن جذر كل حدث خارجي ، هو فكرة داخلية خلقت ذبذبات إيجابية أو سلبية وأدت لنتيجة متوافقة مع ما سبقها . ولهذا قلنا سابقاً أن كل إنسان (فرد أم جماعة) هو شريك فعال في صنع قدره .

" ألا ترون مدنا تنمو بطريقة مذهلة ، تحلو وتتجمل ، وأخرى

تنهار تدريجياً ، ولا أحد يستطيع فعل شيء لإيقاف هذا الانهيار ، ابحثوا

في أفكار وطريقة تفكير أبناء هذه المدن "

وتفسير ذلك بأمثلة كثيرة :

كل الأفراد الذين يحتفظون بذكريات (أفكار / كلمات) سلبية يجترؤونها دائماً وأبداً في كل يوم وربما في كل ساعة ، ترسخ فيهم عواطف سلبية مؤلمة تلوث حياتهم ، وتشعرهم دوماً بالنقل في أجسادهم ، وسرعة الإرهاق بعد كل جهد بسيط ، وقلق دائم ، وخوف من المستقبل والمجهول لا يعرفون كنهه ... ما نتيجة ذلك عليهم ؟

في مجال الصحة ، لن يمضي وقت طويل إلا وقد بدأت البنى المادية (الأعضاء الداخلية، كالقلب والكبد والمعدة والأمعاء مثلاً) عندهم بالانهيار . وذلك لأن حقولهم الطاقية مشبعة بالطاقة السلبية التي تعمل على مبدأ التدمير الذاتي .

لأن الطاقة السلبية إن لم تجد ما تدمره ، فإنها تدمر صاحبها . فالمرض بدأ أولاً على المستوى الطاقى ثم انتقل إلى البنى المادية . فبداية كل مرض عند الإنسان فكرة سلبية نشأت داخله ورسخت وأخذت دورها في التدمير الذاتي . ولأن البنية الطاقية الأصلية السليمة ستقاوم ، ولكن هياها فصاحب الحالة يجترُّ الفكرة السلبية ، كما يجترُّ الجمل مخزونه الغذائي من سنامه . لن يمضي وقت طويل حتى يبدأ الوضع المالي لهذا الإنسان بالانهيار التدريجي ، وذلك نتيجة لوضعه الطاقى الذي أصبح معادياً للكينونة الطبيعية . فإن كان تاجراً ، وجد في عمله حالة الكساد ، ووجد في زبائنه كل ضيق الخلق وصعوبة التعامل . والمشكلة أنه يعتقد أن المشكلة فيهم (في الخارج) ولا يعلم أن حل مشكلته داخله .

على المستوى الجماعي . الجماعة مؤلفة من أفراد ، فإذا كثرت الذبذبات السلبية في داخل كل واحد منهم . وأصبح عدد الأشخاص السلبيين أكثر بكثير من الإيجابيين . عمل مبدأ التدمير الذاتي فوراً في هذا المجتمع . أولاً على مستوى الطاقة غير الملموس ، ثم وبعد فترة لن تطول ، يبدأ التدمير في البنى المادية من أبنية أو مؤسسات . فتجد المؤسسات قائمة لكن لا تفعل الخير أبداً .

وفي هذا السياق نتذكر الخلية السرطانية التي تأكل الخلايا السليمة في الجسم ، وتستمر بالأكل حتى تقضي عليها ، ثم لا تجد ما تأكله وتدمره ، فتبدأ بتدمير ذاتها ، وتقود صاحبها إلى الهلاك . وليس غريباً أن يعتبر مرض السرطان مرض الأشخاص الذين كبتوا غيظاً شديداً لم يطبقوا أن يتناسوه ، ولم يستطيعوا التنفيس عنه بإعلانه .

قصة :

رجل بلغ من العمر ما تجاوز السبعين . منذ العشرينات من عمره يعاني من مرض الشقيقة ، الذي جعل حياته جحيماً لا يطاق ، صداع نصفي يومي يمنع عنه كل متع الحياة بكل أشكالها . وعند بلوغه السبعين من العمر ، توقفت فجأة آلام الشقيقة وزال عنه المرض نهائياً .

الأطباء الذين عجزوا لسنين طويلة أن يخففوا من آلامه ، عجزوا كذلك عن تفسير سبب زوالها فجأة . لكن ، بعد الاستماع إلى شيء من تفاصيل حياته ، عرفنا أن آلام الشقيقة زالت عنه بعد فقدة جزئياً ، وأحياناً كلياً لذاكرته ما علاقة هذا بهذا ؟

ما عرفناه أيضاً أن هذا الرجل قد عانى طيلة حياته من ظلم شقيقه الأكبر له ، حيث استولى على تركة والدهما واستحوذ عليها وحده وهو طفل صغير ، مما أدى به إلى أن يعيش حياته بوضع مالي ضعيف ، بينما شقيقه يتمتع بالثروة التي استولى عليها من تركة أبيه . هذا الرجل استمر ولأكثر من خمسين سنة ، يتكلم يومياً عن شقيقه الذي سرقه . لم يسامحه في يوم من الأيام . حمل في قلبه حقداً دفينا يجتره يوماً بعد يوم . حتى أن كل من التقى به ، حتى لو كان لقاء عابراً ، عرف قصته مع شقيقه .

كان يتكلم دوماً عن شقيقه بالسوء ، مما انعكس عليه ذنوبات سلبية أودت به في سن العشرينات إلى دخول حالة التدمير الذاتي والفشل المتكرر لكل أنواع بناء المادية والمعنوية ، واستمر التدمير حتى فقد ذاكرته .

بفقدته لذاكرته نسي شقيقه فزال عنه مرض الشقيقة ... لو سامح شقيقه لدخل حالة البناء الذاتي ولاستعاد حقه ولو من طريق آخر ... ومن لا يصدق فليجرب فن المسامحة .

إن المسامحة تساعدك على تنظيف حقولك الطاقية ، وبالتالي تصبح مؤهلاً لاستقبال كل خير كتطبيق عملي لقانون الارتداد (قانون الذنوبات) ما يخرج منك يرتد إليك مضاعفاً . هذا هو مبدأ التدمير الذاتي ، والبناء الذاتي ... كل مأسينا نبعث منا وهذا ما سنراه في قانون المسؤولية الذي يقول : كل ما يحدث لك وفيك وعليك ، فهو منك .

هل تنبهتم : الشقيق ... ومرض الشقيقة .

قد يقول البعض : إن شقيقه هو الظالم ، وهو السبب . نعم هو الظالم وهو السبب ، أعلم ذلك . لكن لا أعلم كم من حلقات التدمير الذاتي وقع بها هذا الشقيق ؟ كل ما أعلمه أنه وفق القانون الكوني ، أنه عاش حياته في حلقات التدمير الذاتي كذلك .

هل قلنا شيئاً ؟ هل تعلمنا شيئاً ؟

التوازن الطاقى :

لو أحضرنا كأسين من الماء ، أحدهما (مغلي) والآخر (مُثلج) وخلطنا الكأسين مع بعضهما البعض ، فسيصبح الخليط بحرارة واحدة هي وسطي الحرارتين ، وهذا ما يسمى بالتوازن

الحروري . والشرح العلمي لهذا الحدث ، أن المادة الأعلى حرارة تعطي حرارتها للمادة الأقل حرارة ، وليس العكس . إذاً العنصر صاحب الطاقة الأعلى هو العنصر المؤثر الذي يعطي طاقته للعنصر الأقل طاقة .

وكذلك الأمر بالنسبة لتوزيع الطاقة في كل مكون من مكونات الكون ، كل عنصر طاقته أعلى بمجرد اقترابه من عنصر آخر (دخوله مجاله) طاقته أدنى ، تبدأ عملية تسمى التوازن الطاقى¹ . وهي عملية مشابهة للتوازن الحروري .

وللعلم كان الأجداد قديماً في الأرض العربية (الصحراء) يعالجون المصابين بأمراض من مثل الكساح أو بعض حالات الشلل الجزئي أو الكلي ، بطريقة التوازن الطاقى ، دون أن يسموها بهذا الاسم لكن كيف ؟

كانوا يخرجون بالمرضى خارج البلد ، إلى منطقة صحراوية خالية نظيفة ، ويحفرون حفرة تتسع لقامة المريض ، ويضعونه فيها من الصباح حتى المساء بعد أن يدفنوا غالبية أجزاء جسمه بالتراب . ثم يسقونه الماء فقط . وفي المساء يخرجونه وقد شفي تماماً على الأغلب .

ما الذي حصل في هذه الحالة ؟ الذي حصل أن جسم المريض يعاني من نقص حاد في الطاقة ، ومنافذ الطاقة لديه عاجزة عن امتصاص الطاقة اللازمة له من الكون ، فبوضعه في هذه الحفرة النظيفة البعيدة عن تأثيرات بني البشر ، يستعيد جسمه امتصاص الطاقة اللازمة له ، عبر عملية التوازن الطاقى بينه وبين الأرض النظيفة المشبعة بالطاقة .

من هنا علمنا أن الذبذبات تنتقل من البيئة عالية الطاقة إلى البيئة منخفضة الطاقة . ولكن ما علاقة هذا كله بالنجاح والفلاح ؟ علاقته أن كل إنسان يحمل طاقة إيجابية عالية يستطيع أن يؤثر (فقط هو الذي يستطيع) بالإنسان صاحب الطاقة المنخفضة . فإذا أردت أن تحدث تغييراً في إنسان عزيز عليك ، غير نفسك أولاً نحو الأفضل ، واترك الباقي للقوانين لكي تفعل فعلها .

وكما ذكر " ديفيد هاوكينز " في كتابه " power vs force " أن طاقة كل شخص إيجابي تساوي طاقة أربعة آلاف شخص سلبي . ومن هذا استنتج المعادلة التالية : أن مدينة تعداد سكانها أربعة ملايين نسمة ، يكفي أن يوجد فيها ألف شخص متفائل لكي يصبح كل من في المدينة سعداء مطمئنين .

¹ ويحدث كذلك في هذه الحالة ، ما يسمى امتصاص الطاقة . وما مصاصو الطاقة ، إلا أشخاص فقدوها ، فيأخذونها من آخرين مشبعين بها ، وغالباً دون شعور من الطرفين وهذا ما سندرسه بعد قليل .

وذلك لأنهم يعيشون في حقل طاقي واحد ، وهذا الحقل هو حقل المدينة الكبير ، والذي هو جمع للحقول الطاقية لكل أبناء هذه المدينة ، والذي تشكل نتيجة نية اشتراك العيش في هذه المدينة (راجع فكرة الحقول الطاقية).

مصاصو الطاقة ، حقيقة أم خيال :

انطلاقاً من فكرة التوازن الطاقي ، فإن لقاء الأشخاص مع بعضهم البعض قصداً أو عرضاً، يحدث عملية غريبة غير مقصودة ، مفيدة للبعض ومهلكة للبعض الآخر . تسمى هذه العملية بامتصاص الطاقة !!!

فأصحاب الطاقة المنخفضة يميلون للاقتراب من أصحاب الطاقة المرتفعة ، ميلاً لا شعورياً لأنهم يشعرون بالراحة والاطمئنان بالاقتراب منهم . ولكن أصحاب الطاقة المرتفعة سيشعرون عندها بالتعب والإرهاق والضيق من هؤلاء الملتفين حولهم الذين يطيلون الجلوس أو الوقوف معهم بحجة الاستفادة من علمهم أو لتقديرهم وتبجيلهم .

وربما وصل الأمر بأصحاب الطاقة المرتفعة إلى الانزعاج وإظهار علامات الغضب والنزق لا شعورياً وبطريقة لا يمكن التحكم بها أحيانا . وإذا أردت أن تعرف هذه الحالة فما عليك إلا أن تسأل أحد العلماء أو المشاهير عن مشاعره عندما يلتف العامة حوله بحجة الاستفادة من علمه أو لمجرد التباهي بالوجود معه . سيؤكدون لك أنهم يخرجون من هكذا تجمع مع الناس بحالة عصبية مؤلمة ووضع جسدي متعب مرهق .

لا ينجو من هذه الحالة إلا المتدرب المتمرس على التعامل مع هكذا حالات ، أو أصحاب الطاقات العالية جدا الذين يعتبرون أنفسهم معبرا للنور والطاقة من أجل الآخرين . فهؤلاء يعلمون أن إحدى مهامهم في الدنيا هي نقل الطاقة للمعوزين لها ، ولمن لا يستطيع امتصاصها من الكون مجاناً . ولكن هيهات أن يستفيد من ليس لديه القدرة على التمثل والتخزين والاحتفاظ والتبادل .

إن مصاصي الطاقة ، على الأغلب ، هم أشخاص متعبون يائسون مكتئبون ، ذوو لغة سلبية ، يشعرون بالعزاء عند لقاء بعض الرموز الدينية أو الاجتماعية ، ولكن بعد الابتعاد عنهم يعودون إلى ضعفهم وهويتهم الأصلية لديهم ، وهي هوية الضحية ، التي تشتكي وتشتكي وتتذمر من كل ما في الكون حلوه ومره .

إذا كنت إيجابياً وصاحب طاقة جيدة ، فأنصحك بالابتعاد عن هؤلاء الذين يعيشون في ثنائية الجراد/ الضحية ¹ ، فهم ضحايا بسبب ما اقترفوه في أنفسهم . ولا سبيل لإنقاذهم وتخليصهم تماماً من حالة امتصاص الطاقة من الآخرين إلا بإحداث تغيير في داخل أنفسهم ، وهذا لا يكون إلا إذا قرروا هم أن يغيروا ما بأنفسهم .

أما إذا كنت صاحب طاقة عالية جداً خاصة إذا كنت شخصاً روحانياً متمكناً من قدراته وإمكاناته ، فهنا عليك مسؤولية التأثير في الآخرين ومساعدتهم ليغيروا ما بأنفسهم . وعليك أن تعمل مع أمثالك في البيئة المشتركة الواحدة على خلق مجتمع إنساني متطور روحياً وثقافياً وأخلاقياً . فاجتماع أصحاب هذه الطاقات العالية جداً يحدث أثراً في التاريخ .

واتنبه فربما من أمثال هؤلاء (أصحاب الطاقات العالية) من يستغل طاقته العالية للتأثير في الآخرين وصنع زعامة روحية أو اجتماعية أو حتى سياسية استغلالية تسير الناس العوام لمصالحهم الشخصية البحتة . هنا تذكر قانون الارتداد (الذبذبات) القائل : ما يخرج منك يرد إليك مضاعفاً .

بقي أن ننوه إلى أن بعض الأفكار التي يتبناها الإنسان تمتص طاقته وطاقة مجتمعه . فالفكرة تمتص طاقة حاملها خاصة إذا كانت فكرة عدائية للآخرين . ففي البداية ربما أنعشته هذه الفكرة وأشعرته بالحيوية والنشاط وأعطته الشعور بالتفوق والنجاح ، وأعطته المبرر للمنافسة والتصارع والغلبة ، ولكنها مع الأيام تقتل وتقتل حتى تنهك حاملها وتدمر المجتمع الذي نمت وترعرعت فيه . ومن أمثله ذلك كافة الأيديولوجيات الاستغلالية العدوانية التي ظهرت في تاريخ البشرية قديماً وحديثاً .

أمثلة عملية على تأثير الذبذبات / الكلمات / الأفكار :

أعجب شاب بفتاة تعمل معه ، ولمدة طويلة يفكر بها ، ومتردد أن يكلمها أو أن يتقدم لطلب يدها . دائماً يقول العبارات التالية : أشعر بالخوف من التقدم لها . أنا لا أملك المال الكافي لتكاليف الزواج ، ومؤكد أنها سترفض طلبي ، حتى لو قبلت مؤكد أن والدها سيرفض . عبارات مثل هذه ستؤدي لنتيجة سلبية جداً طبعاً . الخوف قوة رهيبية مضادة ، وهو يستخدمها ضده وليس معه . ولكن ما الحل . الحل بكل بساطة ، استخدم طاقتك وليس قوتك .

¹ لمزيد من الاطلاع على ثنائية الجراد / الضحية ، يرجى النظر في القانون **الأساس** الثالث وهو قانون ثنائيات القطبية .

والمطلوب منه في هذه الحالة أن يجلس ويتخيلها ويتخيل والدها أمامه ، ويكلمهما بكل ثقة وثبات ، ويجري معهما حوارا صادقا صريحا وبكلمات طيبة ، عدة مرات في اليوم ولمدة أسبوع واحد على الأقل ، وبعد ذلك يتقدم لطلب يدها بكل بساطة ، والباقي تتكفل به الأقدار التي هو جزء مهم منها .

إن وجد بينك وبين أي شخص "سوء تفاهم" ، أو بينك وبين أهلك ، زوجك ، صديقك ، والدك ، والدتك ، أو أي إنسان ، ولم تستطع الاعتذار أو حل المشكلة . لا داع للاعتذار المباشر إن لم تكن قادراً عليه . فقط أجر مصالحة على مستوى الذبذبات . أرسل للطرف الآخر كلمات إيجابية ، وأدعيه إيجابية (بسم الله ، ما شاء الله ، أحبك في الله ، .. الخ) وأنت تتخيله أمامك ، واستمر بإرسال هذه الذبذبات عدة مرات يومياً ولمدة أسبوع واحد على الأقل . وأتمنى عليك ألا تتفاجأ بالتغيير الذي سيحدث في العلاقة .

الخلاصة : إذا اختلفت مع أحدهم وكانت نيتك سليمة تجاهه ، فقط أرسل له أفكارا طيبة ، من مثل : أنا لم أقصد إيذاءك ، أنا أحبك في الله ، إن ما جرى بيننا هو سوء تفاهم يزول الآن بإذن الله . وفي هذا السياق تذكروا أن ترسلوا لأنفسكم ، ولأهلكم ، ولبلدانكم ، ذبذبات إيجابية تسمى ذبذبات السلام ، فلها أثر عجيب ... فقط افعلوا ذلك وأنتم واثقون .

يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " لو أن صاعقة نزلت من السماء ما أصابت مستغفرا " .

قالوا : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : أولم تسمعوا قول الله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال/33) .

قانون الحدوث (كيف تحدث الأشياء في الكون) :

" ما لا تعرفه الآن ستعرفه غداً ، بكارثة "

فيلسوف

وهذا من أهم القوانين الفرعية التي تتبع قانون الذبذبات ، وشعاره : كلُّ حدثٍ يظهر ملموساً فوق سطح الأرض ، وأصله فكرة / نبذبة مخفية على الأغلب ، لا تدرك عند ظهور الحدث . وهذا معناه أن كل حدث مادي أو معنوي ، ملموس أو غير ملموس هو نتيجة واضحة للعيان

على الأقل على شكل آثار مختلفة . ولكن هذه النتيجة (الآثار) يسبقها دوماً شيء أصبح خفياً مع الأيام ، ألا وهو السلوك الذي أدى إلى هذه النتيجة . ولكن من الذي ولد السلوك ؟ إنه الفكرة، التي هي نفسها الكلمة ، ونفسها الذبذبات .

إذا دوماً وقبل ظهور أي نتيجة هناك سلوك ، وهناك في الأعماق (المرئية من قبل ذوي البصيرة فقط) فكرة أو مجموعة أفكار أدت إلى هذا السلوك . وهذه الفكرة كما قلنا سلفاً تولد على شكل كلمات (لغة) . وهذه الفكرة / الكلمة هي التي تولد الذبذبة لحظة ظهور الفكرة . وهي نفسها ما نسميه النية ، وهي نفسها ما نسميه أحلام اليقظة .

وتكمن المشكلة أنه إذا ظهرت لنا نتيجة غير مرغوبة (سلبية) ، وجدنا البعض سعى فوراً إلى تغييرها بنتيجة مغايرة وهذا من المستحيلات . إذا لكي تغير نتيجة ما ، عليك أن تغير السلوك أولاً . ولكن ذلك غير مضمون النجاح البتة ، لأن تغيير السلوك لا يشترط أن يعطيك نتيجة مغايرة إيجابية إلا إذا كانت الفكرة / الذبذبة الكامنة في الأعماق إيجابية هي الأخرى .

إذاً إن التغيير الحقيقي الناجح هو تغيير الفكرة/ الذبذبة الكامنة في الأعماق ، والتي تؤدي إلى سلوك جديد كلياً ، وهذا بدوره يؤدي إلى نتيجة جديدة كلياً . هذا هو التغيير الحقيقي ، تغيير ما بالأنفس (الأفكار) ، الذي يؤدي إلى تغيير ما بالقوم (الواقع) .

ولكن هل عليّ أن أنتظر حتى تظهر النتائج لأعرف مدى صحة أفكاري وسلوكياتي ؟ خاصة وأن هذه المسيرة قد تستمر لعدة سنوات ؟ هل علي الانتظار عدة سنوات حتى أتأكد أن أفكاري صائبة وأني أسير على الطريق السليم ؟ أم أن هناك طريقة ما تساعدني على التأكد من صحة أفكاري قبل التورط بسلوكيات مكلفة من ناحية الوقت والجهد والمال .

الحل بكل بساطة يكمن في المنطقة الكاشفة التي تعيننا على تقييم أفكارنا قبل تحويلها إلى سلوك . ولكن ما هي المنطقة الكاشفة ؟ إنها منطقة الشعور ، أو الحالة الشعورية التي تنتج عن الفكرة / الكلمة . ولشرح ذلك نعيد عرض تسلسل مراحل حدوث الأشياء من جديد .

أولاً تولد الفكرة وهي نفسها الكلمة/ الذبذبة ... ثم بعد ذلك وقبل تحول الفكرة إلى سلوك تظهر مشاعر عند الإنسان المفكر ، هذه المشاعر إما أن تكون إيجابية ، وإما أن تكون سلبية . ثم بعد ذلك يأتي السلوك وأخيراً النتيجة . إذا التسلسل كما يلي :

4- النتيجة (التي هي فقط فوق سطح الأرض) .

3- السلوك .

2- الشعور في المنطقة الكاشفة (الصدر والقلب) .

1- الفكرة / الكلمة / الذبذبة / النية / أحلام اليقظة .

بهذا التسلسل تحدث الأشياء ، وبه يكتمل قانون الحدوث . وكما قلنا لإحداث تغيير حقيقي، علينا التغيير في أعماق مستوى وهو الأفكار/الذبذبات .

ولكي نتجنب خوض تجربة مريرة تدوم أشهرًا وسنوات ، ثم بعد ذلك نكتشف أن أفكارنا كانت خاطئة . نستطيع تجنب ذلك عن طريق المنطقة الكاشفة . فكل فكرة تترك أثرًا في الشعور، هذا الأثر لا يمكن تغييره إن لم نغيّر الفكرة / اللغة التي هي أساس الشعور .

" إذا أردت تغيير مشاعرك ، غيّر كلماتك "

فكل ما عليك فعله إذا فكرت بفكرة ما ، هو أن تراقب مشاعرك ، لا تهملها ، ولا تهملها بحجة أنك يجب أن تتبع العقل وليس العاطفة ، فطبيعة خلق الإنسان أن كل ما يفكر فيه ينعكس على شعوره أولاً . فإذا فكّر بطريقة إيجابية (لغة إيجابية / ذبذبات إيجابية) فإن مشاعره ستكون إيجابية حتمًا ، والعكس بالعكس .

لذا تعتبر المنطقة الكاشفة (المشاعر) صمام أمان للإنسان لكي يتوقف في الوقت المناسب ، قبل أن يبذل تكلفة باهظة (وقت - جهد - مال) في أمر ما . ثم في النهاية يكتشف أن هذا الأمر لم يكن له منذ البداية، فكلّ ميسر لما خلق له .

ولكن ماذا لو كانت المنطقة الكاشفة ملوثة ؟

إن هذا يحدث عند سيطرة الأهواء والمطامع والغرائز على الإنسان . فيرى الحق باطلاً ، والباطل حقاً . وهذا النوع من الناس تعطيه منطقتهم الكاشفة إشارات خاطئة تقوده إلى الهلاك ، فهي تقبل كل فكرة تتفق مع هواه وليس مع الحق والكينونة .

وفي هؤلاء تقول الآية الكريمة ما يلي : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا) (الكهف/ 103-106) .

والآية الأخرى تقول : (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) (فاطر/ 8) .

ولا حلاً جذرياً لهذه المشكلة إلا بالوعي بحقيقة الأشياء ، وهذا لا يكون كاملاً إلا بالإيمان الصادق ، والحب الراسخ للحقيقة المتجردة عن الأهواء المادية والنفسية للبشر .

" إن فعل الصحيح في الطريق الخاطئ لن يجديك شيئاً "

قصة :

شاهد صديقه يحمل بذورا بين يديه ، فسأله ما تحمل ؟
قال الفلاح : أحمل بذور أزهار أريد زراعتها .
الصديق : حسنا إن الأزهار جميلة جداً .
بعد الزراعة والجهد والتعب ، والسقاية والعناية الفائقة ظهرت النتيجة وإذا بها حبات فجل كبيرة نضرة .

الفلاح مستغرب ومحتار : كيف حدث هذا ؟
الصديق : يا صاحبي لقد أخطأت ، لقد وضعت بذور الفجل وليس الأزهار .
الفلاح : مستحيل لقد وضعت البذور الصحيحة .
الصديق : لا يا صاحبي ، جرّب مرة أخرى .
الفلاح يحمل بين يديه نفس البذور يريد زراعتها .
الصديق : هذه بذور فجل وليست بذور أزهار .
الفلاح : أعلم ذلك ، ولكن هذه المرة سأدعو الله وأصلي له ، لكي تخرج الأزهار .
الصديق : المسكين ، لا يعلم أن الدعاء لا يغير كينونة .

قانون الحصاد : ما تزرعه تحصده

" هل أعجبتكم هذه القصص ... لا تستغربوا إذا قلت لكم إننا جميعاً قد فعلنا ذلك "

القانون الأساس الثاني

قانون المسؤولية

شعار هذا القانون : ما يحدث لك وفيك وعليك ، فهو منك .

(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ
آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَمَا زَادَهُمْ غَيْرَ تَتَابُعًا) (هود / 101) .

يصعب للوهلة الأولى تصديق قانون المسؤولية . ولكن بعد التعمق في فهمه نكتشف ما قد
يصدمننا أولاً ، ثم ما يلجئنا للصمت ثانياً، وأخيراً - وعند العقلاء فقط - تأتي مرحلة القبول
والتسليم ، وذلك بحدوث الوعي .

الحكماء فقط يستطيعون تحمل الصدمات الفكرية التي تمزق جدار وعينا السابق لتغرس
وعياً جديداً ما ألفتناه ، وإن كنا رجونا من أعماقنا . فالصدمة تسبب الألم ، والألم يخلق الوعي ،
والوعي شفاء ... إذا الصدمة شفاء !!!

لماذا نهرب من الصدمات ؟ لأن مستوى وعينا قبل الصدمة لا يستوعب مستواه بعدها ، ولا
يعرف ما هي فوائد الوعي الجيد ؟ وما هي موجباته ؟ والإنسان عدو ما يجهل . لذا وجب كونياً
لكي تتطور وترتقي ، وجب أن تتصدم ، وتكتشف قصورك .

" إذا أدركت الذات قُصورها ، صعدت إلى قُصورها "

كيف تتكون مسؤوليتنا :

انطلاقاً من القانون الأول ، قانون الذبذبات أو قانون الارتداد ، فإن كل ما يخرج منك من
(أفكار/ ذبذبات) يرتد إليك مضاعفاً . ومما تعلمناه من القانون الفرعي ، قانون الحدوث : أن
كل حدث كان (فكرة/ كلمة/ نيّة/ ذبذبة) في داخلنا، ثم تمثلتها مشاعرنا ، فسلوكنا ، فأصبحت
نتيجة ملموسة واقعة فوق سطح الأرض .

وعليه فأنت الذي أصدرت الذبذبات (بنوعيتها) والكون بطبيعة خلقه رد عليك ، كنتيجة لما أصدرت سابقاً . فإذا وقعت في مأزق محرج مؤلم ، فاعلم أنك قد سببته لنفسك ، وغالباً دون أن تقصد .

وإذا حصلت على نعمة من النعم ، فاعلم أنها قد وجبت لك لعدة أسباب أهمها أنك تشعر باستحقاقها ، وقد قدمت الأسباب الإيجابية المتوافقة معها ، والدعاء أحد أهم هذه الأسباب .

" الرياح قدر من الله ، وتوجيه الشراع من عمل يدك "

ستيفن كوفي

قصة :

فتاة تجاوزت الثامنة والثلاثين من العمر دون أن تتزوج ، وكانت دوماً تقول ، ويقال لها ، العبارة الشعبية الشهيرة : لم يأت النصيب بعد .

ولكن ربما لا يأتي أبداً؟! ... هذا ما قلته لها متسائلاً .

أجابت : ربما ، ولكن هذه إرادة الله .

قلت : ولكن قدر الله فينا ليس عشوائياً ، هناك مقدمات غرسناها في حياتنا ، وعلى أساسها تشكل قدرنا ، فنحن شركاء في صنع قدرنا وليس الأمر خبط عشواء . وذكرتها بالآية الكريمة : (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى * فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) (الليل / 4- 10) .

من ملامح وجهها أدركت أنها تسمع هذه الفكرة للمرة الأولى .

فقلت : ولكني أرجو الزواج ، وأدعو الله دوماً أن يرزقني الزوج الصالح والولد الطيب ، وليس صحيحاً أنني المسؤولة عن عدم زواجي .

أجبتها : ولماذا لم تتزوجي ؟ لماذا لم يُستجب دعائك ؟

كان كلامي غريباً بالنسبة إليها ، خاصة أنها قد تشربت فكرة سلبية الإنسان في قدره حتى الأعماق . لذلك ولكي أتجنب الجدل في فكرة راسخة يصعب تنفيذها من داخلها ، قلت لها كلميني عن رأيك في الزواج والأمومة وتربية الأولاد ، فكان برنامجها العقلي/اللغوي إيجابياً تجاه هذه الأمور .

فسألتها : كلميني عن رأيك في الرجال كأزواج ؟ فكان جوابها إيجابياً متحفظاً ، فطلبت منها التعمق في هذا المجال . فتكلمت عن أنها تخشى الزوج المتحكم الذي يسيرها على هواه ، ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياتها وعلاقاتها وعملها .

وأكدت بلغة جازمة (راففتها حركات جسد توكيدية صارمة) أن هذا أمر لا يمكن أن تقبل به أبداً . ثم قالت العبارة التي كشفت برنامجها العقلي المغروس فيه عقبة استجابة الدعاء ، ألا وهي : مع الأسف كل الرجال هكذا ... قالتها بحزن وأسى .

أكدت لها أن هذه الفكرة قد تكون هي العقبة الرئيسة في وجه حلمها ودعائها .
قالت : وماذا أفعل ، لا يمكن أن أتقبل الرجل السلطوي ، وكلكم سلطويون ، هكذا قالت .
أجبتها : ولكن الزوجة أيضاً تحد من حرية زوجها ، وتتدخل في حياته ، وهذا أمر طبيعي .
قالت : نعم ولكن الرجال لديهم سلطة مطلقة في هذا ، وهم الأقوى على فرض سيطرتهم .
أجبتها: ما رأيك أن تطلبي في دعائك ، زوجاً صالحاً لا يتدخل في عملك وتفاصيل حياتك، ولا يشكل عليك ضغطاً قاهراً لإرادتك في عملك ونشاطك اليومي؟
اتفقنا على ذلك ، ورتبنا برنامجاً عقلياً/ لغوياً يفيد ما اتفقنا عليه . على أن تردده دوماً حتى يرسخ في وعيها ولا وعيها بشكل تام .
بعد أشهر قليلة ، أخبرتني هذه الفتاة أنها مخطوبة ، وأن ما رددته من أفكار وكلمات قد حدث بالفعل ، تماماً كما أرادت .

هل نحن شركاء في صنع قدرنا ؟

إذا كانت الرياح قدراً من الله ، فتوجيه الشراع من عملنا ، ووصولنا إلى بغيتنا ، أو عدم وصولنا ، هو القدر الذي ندعي أن لا علاقة لنا به...! بل لنا علاقة وطيدة ، ونحن مسؤولون مسؤولية كاملة عن هذا القدر .

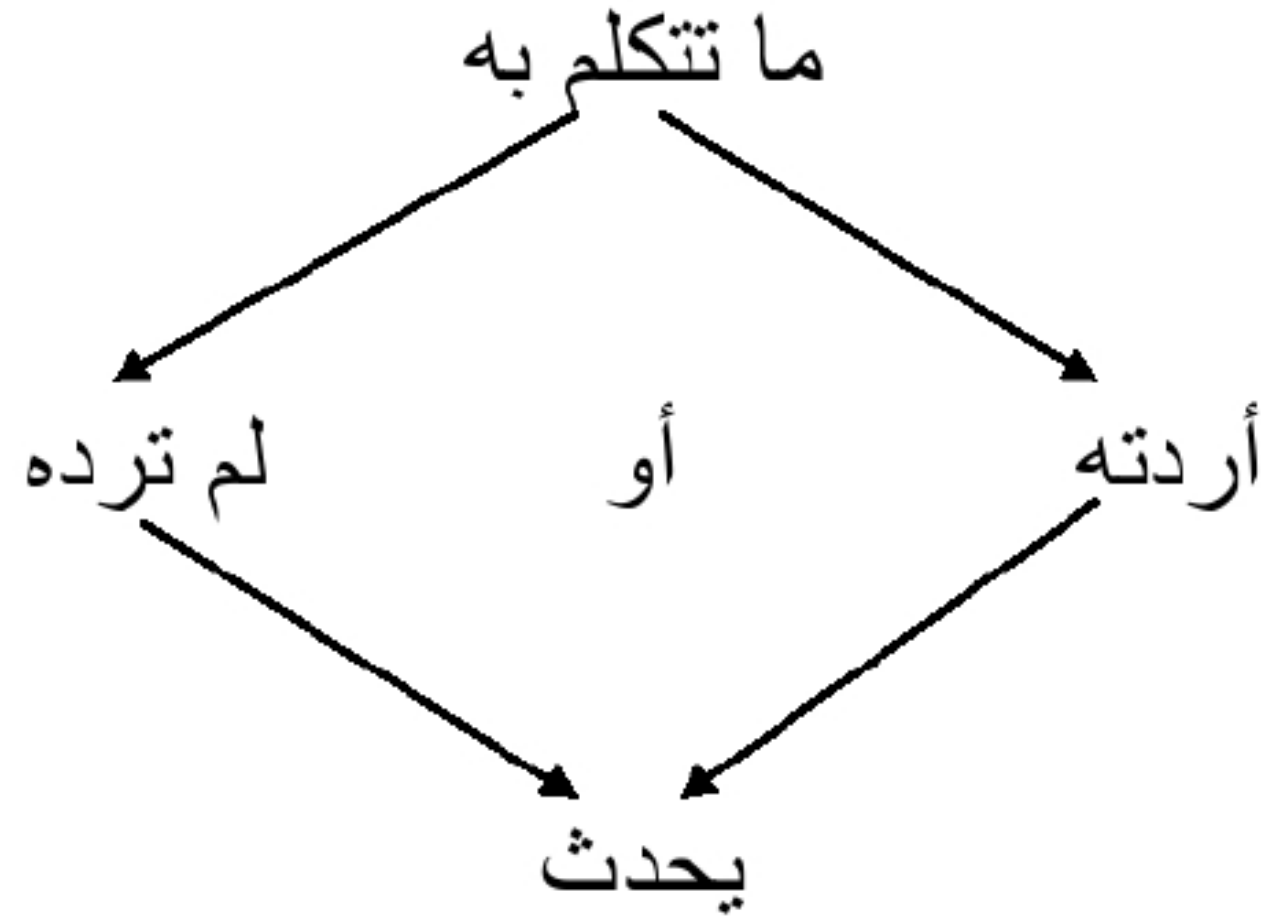
وللتعمق أكثر في فهم قانون المسؤولية ، علينا أن نراقب بإرهاب حواس دقيق ، لغة كل إنسان يمر بتجربة معاناة حياتية . عندها سنكتشف الكثير عن مسؤولية هذا الإنسان عن واقعه ، ودوره في تشكيله بالشكل الذي ظهر به .

قاعدة - قل ما تريد وليس ما لا تريد :

لو راقبت شخصاً مريضاً بمرض مزمن ، لا يجد لمرضه دواء ولا مداوي . لوجدت أنه يتكلم في المرض وليس في الشفاء ، وربما هذا الأمر باللغة الصامتة . وعندما تسأله ، بعد حديثه السلبي وعباراته المؤلمة : ماذا تريد ؟

سيقول طبعاً أريد الشفاء . حسناً ولماذا لا تتكلم بالشفاء ؟ لماذا تتكلم بالمرض ؟

سيقول لك طبعاً هذا واقعي ، وأنا أتألم ، وأنت لا تشعر بما بي من آلام ، وأنت غير متعاطف ، وأنت سلبي معي ومع مصيبيتي .
مسكين هذا الإنسان ، لا يعلم أن ما يتحدث به يحدث حتى لو لم يكن يريد .



ولا يعلم أيضا أنه جل وعلا قال في كتابه الكريم : (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) (الإسراء / 53) .
وقال أيضاً (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤَلُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب / 71) .

" دوماً قل ما تريد وليس ما لا تريد . فواقعك اليوم هو نتيجة لما قلته أمس "

لو التقيت إنسانا فقيرا ، فما هي لغته اليومية بشأن المال عامة؟ ووضع المالى بشكل خاص؟ أيضاً ستجد أنه يتكلم بالفقر والقلّة وليس بالكفاية والوفرة !!! ولو سألته سيقول لك هذا واقعي .

قصة واقعية :

سألني أحدهم أن أختبر له برنامج العقلي / اللغوي المتعلق بوضعه المالى .
سألته ماذا تريد بالضبط ؟
قال : لا أريد أن أكون فقيراً ...
قلت : حسنا عرفنا ما لا تريد . الآن ماذا تريد ؟

قال : قلت لك ، لا أريد أن أكون فقيراً .

قلت : حسنا للمرة الثانية عرفنا ما لا تريد . الآن ماذا تريد ؟

قال بشيء من الغضب والتعجل : قلت لك ، لا أريد أن أكون فقيراً .

هل عرفنا مشكلة هذا الإنسان؟ ... طبعاً هو لا يريد أن يكون فقيراً . والفقر ليس من كينونة الكون . فالكون مشبع بالوفرة وليس بالقلّة . ولهذا قال رب الكون وخالقه: (وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم / 34) .

إذا أنتم لم تسألوه ، ما عيب النعمة إذاً ، هل هي قليلة نادرة ؟ الجواب : لا . فقط أنتم لم تسألوه بالطريقة المناسبة .

ويسأل البعض : وما حل مشكلة صاحبنا الذي لا يريد أن يكون فقيراً ؟ حل مشكلته بسيط جداً ، وهو أن يحدث تغييراً في داخله أولاً ، والباقي تحصيل حاصل .

سألته : حسنا ، فهمت منك ، أنك لا تريد أن تكون فقيراً . إذا أنت تريد أن تكون غنياً .

قال : لا ، لأن مشاكل الأغنياء كثيرة ، وحياتهم معقدة! ... هكذا أجاب المسكين .

قلت : حسناً إذاً أنت تريد أن تكون مكتفياً ، مستوفياً كل احتياجاتك المادية .

قال : نعم نعم هذا ما أريده بالضبط .

قلت : إذا منذ اليوم سنتكلم بالكفاية وليس بالفقر . هل اتفقنا؟

هل عرفتم الآن أين تكمن مشكلة الفقر والفقراء؟ وهل عرفتم لماذا الكثير من البرامج الحكومية لمكافحة الفقر تفشل فشلاً ذريعاً ، وتذهب كل جهودها هباء منثوراً؟ وللعلم هذه المشكلة ليست من اهتمامات الاقتصاديين الذين يضعون برامج مكافحة الفقر ، والتي تذهب عوائدها ومنافعها آلياً ، ووفق آليات توزيع الثروة في المجتمع ، إلى جيوب الأغنياء طبعاً .

قانون المسؤولية وعلاقتنا العاطفية والأسرية والاجتماعية :

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ
لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (النور / 26) .

هل نحن مسؤولون أيضاً عن نوعية الأشخاص والعلاقات التي تظهر في حياتنا ؟ هل صحيح أن كل إنسان يظهر في حياتنا (دائماً ، مؤقتاً) هو مرآة لنا في لحظة ظهوره ؟

أعتقد أن هذه الجملة ليست صحيحة فقط ، بل هي أكثر الجمل صحة في مجال القوانين . فكل شيء يحصل في حياتنا هو انعكاس لوعينا وهذا يتضمن العلاقات والمواقف والظروف والأحداث والأشخاص في حياتنا . كل شيء يعكس ما يحدث بداخل وعينا .

فإذا كان لا يعجبك ما يحدث في حياتك، فلن تتمكن من تغيير المواقف إلا إذا قمت بنقلة داخلية . حيث يجب أن تسأل نفسك دوماً ماذا أفعل في الوعي كي أغير هذا ؟ وإذا سألت هذا السؤال ، ستعرف الإجابة فوراً ، فهؤلاء الذين نحبهم أو نكرههم كلاهما مرآيا لما يحدث داخلنا ومثل ذلك كل شيء ... فقر ، رخاء ، مواقف ، ظروف ، أحداث ، فهي مرآة لما يحدث في الوعي .

" كل إنسان ظهر في حياتك هو مرآة عاكسة لعالمك الداخلي لحظة ظهوره "

وكما يقول المثل الشعبي : إن الطيور على أشكالها تقع . فهذا ما يحصل في الواقع رغم أن الكثيرين يعترضون بقولهم : إن الذين يظهرون في حياتي هم أشخاص ليسوا مثلي ، ليسوا محبين ولا صادقين ولا متعاونين ، وأنا لست كذلك .

الجواب : لو كنت صادقاً مع نفسك فأنت تماماً تجذب إليك أشخاصاً يشبهونك لحظة ظهورهم . أو بكل بساطة أشخاصاً أنت ترفضهم بشدة وتتكلم عنهم كثيراً وتتأثر بهم كثيراً . وهذا ما سنشرحه في القانون الرئيس الثالث ، قانون ثنائيات القطبية ، حيث سنشرح ثنائية التعلق والرفض ، والتي تقول : إن كل ما تتعلق به بشده يبتعد عنك ويسبب لك الألم . وكل ما ترفضه بشده يلتصق بك ويسبب لك الألم .

أما بالنسبة للزواج . فالأمر بسيط جداً . من أراد زوجاً جيداً ، فليجود نفسه أولاً . فالقاعدة تقول : إنكم تتزوجون أشباهكم . والآية الكريمة تقول : (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم/21) .

" انتبهو ... إنكم تتزوجون أشباهكم "

قانون المسؤولية ، ومسؤوليتنا عن إنجاز أهدافنا :

هل نحن مسؤولون عن إنجاز أهدافنا ؟ وهل نحن المسؤولون عن فشلنا في إنجازها ؟
الجواب : نعم . ولكن هذا لا يظهر لنا إلا إذا كنا على درجة عالية من الشفافية والصدق
مع أنفسنا أولاً ، وكنا على درجة عالية من الوعي بذواتنا ثانياً . إن الصدق مع الذات ، والوعي
التام بالذات ، يكشف لنا قدرتنا على تحقيق أهدافنا لحظة تبيننا لها .
فمنطقتنا الكاشفة ، ومنذ اللحظة الأولى لولادة الهدف في وعينا ، تخبرنا هل نحن مؤهلون
لإنجازه أم لا؟ وتخبرنا هل علينا التخلي عنه، أم علينا إحداث تغيير ما في نفوسنا لكي نستطيع
إنجازه؟ وكما يقول الحديث الشريف : "اعملوا فكلّ ميسرّ لما خُلقَ له" .

قصة واقعية :

استشارني أحد الآباء بشأن ابنه الذي يريده متفوقاً في دراسته ، لكي يدخل الجامعة ويرقى
إلى مصاف الناجحين من الناس . وهذه رغبة مشروعة مباركة من أي أب لابنه ، لكن الغريب
أن هذا الأب يريد مني أن أعلم ابنه بضع أفكار أو كلمات ليطبّقها ويصبح من المتفوقين
الناجحين . أي أنه يريد حلاً سريعاً خارجياً يغير ابنه ، وكأنني ميكانيكي أستطيع تغيير القطعة
العاطلة بأخرى جديدة فتعمل هذه الآلة ... يريد النجاح وليس الفلاح .
الأمر في التغيير ليس هكذا .

أهملت وجود الأب ، وسألت الابن : ما رأيك بالطلبة المتفوقين الذين يحصلون العلامات
التامة أو القريبة من التامة؟

الابن : هؤلاء أغبياء يحفظون دون فهم ولا تركيز ، هم فقط آلات تصوير للكتب . تعامل
معهم تجدهم معتوهين لا يجيدون التصرف بين الناس ، ولا يفقهون شيئاً من أمور الدنيا
وأحداثها، هم فقط كدود الكتب يمضون أعمارهم بين صفحاتها دون أن يفقهوا شيئاً مهما في
حياتهم .

قلت له : أبشر يا بني ، لن تنجح في أن تكون واحداً منهم ، لأنك ببساطة تحتقرهم .

قال : نعم أحتقرهم ، وسأكون أفضل منهم .

قلت : هل رأيت تعابير وجهك وأنت تتكلم عنهم باحتقار ؟ كيف ستنتهي إلى فئة أنت

تحتقر أعضائها ؟ إذا لم تحب أعضاء وأبناء هذه الفئة فلن تنجح بأن تصبح مثلهم .

قال : ومن قال لك إنني أريد أن أكون مثلهم ؟ أنا أحسن منهم .
مسكين ، يحتاج إلى تغيير ، وليس إلى قطعة غيار ، بل يحتاج إلى برنامج عقلي لغوي
متكامل، حتى يستطيع أن يبذل الساعات الطويلة من الجهد في الدراسة والتحصيل العلمي .
أعرفه عن قرب... بعد عدة سنوات، هاهو يتسكع في الشوارع .

قواعد مهمة:

" إذا أردت أن تنتمي إلى فئة ما ... فاحترم وقدر الذين ينتمون إلى هذه الفئة "

" اكتشف العقبات الداخلية التي تعيق هدفك عن التجلي، أزلها أو تخلّ عن الهدف "

" إذا أحببت الخير لنفسك، فباركه أنى وجدته "

القوانين الكونية... وعلاقتها بالقصد (النية) والعلم:

في عالم القوانين الكونية ، سواء قصدت النتيجة أم لم تقصدها ، فإنها ستظهر لك ما دمت
قد قدمت أسبابها المرتبطة بها من فكر ولغة وعمل . وفي عالم القوانين الكونية ، سواء علمت أم
لم تعلم بالقوانين ، فإنها نافذة في حياتك ، شئت أم أبيت . فالقانون لا يستأذن أحدا ليفعل فعله
في البشر .

وعليه ، فإن كل ما تفكر فيه وتحدث عنه وتستشعره بقوة ، يحدث معك ، حتى لو كنت
رافضاً له في فكر وكلامك . فإن كنت رافضاً شيئاً ما ، وتحدثت عنه بكثرة ، وأرفقت حديثك
بمشاعر وذبذبات قوية ، فتوقع وبقوة أن يحدث لك رغم رفضك له . فكم من الناس تخوفوا من
شيء، ولكنهم أكثروا من ذكره والتخوف منه حتى حدث لهم! وهم يعتقدون أنفسهم صائبي الرأي
بتوقعاتهم ، ولم يعلموا أنهم هم من خلق هذا الحدث بأفكارهم وحديثهم.

" كل ما تحدثت به يحدث سواء قبلته أم لم تقبله "

نقد مهم لقانون المسؤولية :

هناك نقد قوي لهذا القانون ، يبدو للوهلة الأولى أنه نقد فعال يؤدي بقيمة هذا القانون وصحته إلى الهاوية . ونحن نعلم أن الفكرة تبقى صحيحة ما صمدت أمام النقد ، فإذا لم تصمد أمام نقد ما ، فقدت صحتها وصلاحيتها .

ونقد قانون المسؤولية يقول :

بما أن الكون مليء بالذبذبات الإيجابية والسلبية ، فإن الذبذبات التي تتبع مني قد أتتني من عالمي الخارجي ، من البيئة المحيطة ، من مجتمعي ، من أهلي ، من زوجتي ، من زوجي ، من... الخ . ولست مسؤولاً عنها بشكل من الأشكال . وما ردة فعلي السلبية إلا نتاج تراكمات سلبية أتتني من خارج حقلي الذاتي الذي طالما جاهدت ملياً أن أبقيه نظيفاً بتطبيق طريقة التفكير الإيجابي . ولكن ما العمل وكل ما يحيط بي متشائم سلمي ؟

والرد على هذا النقد كما يلي :

أولاً - إذا صح هذا الكلام فأنت أيضاً لست مسؤولاً عن الأحداث الإيجابية التي حدثت لك وفيك وعليك . فكله من خارجك ، وهذا يتعارض أساساً مع كينونة الإنسان المكلف ، الذي يتكون قدره من عدة عوامل هو أحد أهمها ، إن لم نقل العامل الأهم فيها .

ثانياً - مع الاعتراف بأن الكون مليء بالذبذبات الإيجابية والسلبية ، فإن دخول الذبذبات السلبية إلى حقلك له معنى واحد هو أنك قد أعددت نفسك لاستقبال هذا النوع من الذبذبات . فكما في جهاز المذياع أو التلفاز ، دوماً هناك المئات من قنوات البث الإيجابية والسلبية ، ولكن أي قناة تظهر في مذياعك أو على شاشة تلفازك ؟ فإنها القناة التي برمجت رقم موجتها في جهازك . أليس كذلك ؟ فإذا أنت المسؤول عن استقبال بث هذه القناة أو تلك . وليس من يقوم ببث موجة هذه القناة فقط .

ولو أن قانون المسؤولية باطل لحق لكل غاو منحرف عن طريق الفضيلة والرشاد أن يدعي أن فعله كان بغواية من الشيطان . وكل الأديان السماوية تؤكد لنا أن غواية الشيطان تقع فقط لمن استمع له .

وفي هذا يقول جل وعلا في كتابه الكريم : (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (إبراهيم / 22) .

ويقول أيضاً :

(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الحجر / 42) .

ولو أمعنت فكرك قليلاً لرأيت أن كل ما في الكون من كائنات وأحداث ، يحتاج إلى نوعين مختلفين من المولدين ليولد هذا الحدث . وهذان المولدان (الأبوان) هما قطبان مختلفان (ذكر، أنثى). ولا يمكن أن يولد شيء في الكون من دون اشتراك هذين الأبوين معاً. كالرشوة ، مثلاً ، لا تحدث إلا بوجود راشٍ ومرتشٍ ، ولا مجال لحدوثها بغير ذلك . فلماذا نشجب عمل المرتشي ونعتبره أساس الفساد في المجتمع ؟ كلاهما أساس للفساد . ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لعنَ اللهُ الراشِي، والمرتشِي، والرائشَ الذي يمشي بينهما"¹ لماذا بدأ بالراشي ؟ سؤال مهم .

قانون المسؤولية... مايزال صامداً !!!

قانون الكينونة :

وهذا من أهم القوانين الفرعية التابعة لقانون المسؤولية . حيث إن كل من استوعب هذا القانون وفهمه وأحسن تطبيقه حقق فلاحاً كبيراً في حياته وفي كل جوانبها المتنوعة . وفكرة هذا القانون تقوم على أن كل شيء في الكون له كينونة خاصة به ، وأن التوافق مع هذه الكينونة هو سر النجاح والفلاح . ولتطبيق ذلك علينا أولاً اكتشاف كينونة الأشياء والأشخاص ، والعمل وفق كينونتها أي تركيبه وجودها، وعدم مخالفة هذا .

وشعار هذا القانون :

"اكتشف كينونتك ، واعمل وفقها"

فأساس معادلة النجاح في الحياة تركيبية من ثلاثة عناصر رئيسه وهي : العمل- الكينونة- الامتلاك، وتقوم الحياة على تبادل الأدوار والأولويات بين هذه التراكيب الثلاثة على الشكل التالي، ووفق إحدى المعادلات التالية :



¹ الراوي: ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم- المحدث: السيوطي- المصدر: الجامع الصغير - الصفحة أو الرقم: 7255- خلاصة حكم المحدث: صحيح.

فأمام الإنسان خيار من ثلاث :

1. فإما أن يعمل فيملك فيكون . أي يعمل عملاً فيملك المال فيكون غنياً . أو يدرس فيملك العلم فيصبح عالماً . وهذه احتمالية من الاحتماليات ، وهذه الاحتمالية الأكثر حدوثاً بين الناس ، وفيها جهد كبير وغير مضمونة النجاح دائماً ؟
2. أو أن يمتلك فيعمل فيكون . أي أن يمتلك المال (بالإرث مثلاً) فيعمل بجد ونشاط ويستثمر هذا المال ، فيكون ثرياً . وهذه الحالة لا تنفع في كل الأمور كطلب العلم مثلاً . وليست متاحة للجميع وليست مضمونة النجاح دائماً .
3. أو أن يكون فيعمل فيملك . وهذه الاحتمالية الثالثة هي احتمالية الفلاح الأوفر حظاً للإنسان . فمن توافقت كينونته مع العلم وكان بطبيعته الخلقية أو بمنشئه التربوي يحمل هوية عالم ، فإنه سيعمل في طلب العلم بسهولة لتوافق هذا العمل مع كينونته ، فيصبح عالماً ببسر وسهولة وبالجهد الأقل . وكذلك من توافقت هويته مع المال وتثميته ، عمل بسهولة ويسر في التجارة أو غيرها من ضروب الاستثمار فيملك المال الوفير . وهذا ما يفسر كيف أن الكثير من الأثرياء بدؤوا من الصفر مالياً ، فأصبحوا ملاكاً ومستثمرين كباراً . وهذا ما يفسر أيضاً كيف أن أناساً عاديين ليس لهم حظ يذكر مع العلم والفهم ، أصبحوا من رواد البشرية في مجالهم العلمي .

السر في النجاح والفلاح الحقيقيين يكمن إذاً في التوافق مع كينونتنا الخلقية التي ولدت غالباً معنا ، أو غرستها فينا التربية منذ الصغر . والتوافق مع هذه الكينونة هو سر النجاح والفلاح لكل الناس . فهو قانون كوني لا ينصح بمخالفته .

إن اكتشاف كينونتنا الحقيقية أمر ليس سهلاً على الأغلب ، وذلك لأن الأسرة والمدرسة والإعلام والمجتمع غالباً ما يبرمجونا على كينونة جاهزة يختارونها لنا وفق أولوياتهم ورغباتهم التي قد لا تمت لكينونتنا الأصلية بصلة ، ولكننا نقبلها بسبب تأثرنا بهم .

إذا ما العمل ؟

العمل بكل بساطة : انظر أين أنت الآن ، في العمل في الدراسة في الصحة... الخ ، إن كنت مطمئناً وراضياً ونشطاً ، فأنت متوافق مع كينونتك ، وإلا فانتهبه أنت ضد كينونتك ، وستحصل على الألم في آخر المطاف . لقد اخترت كينونة مخالفة وذلك بتأثرك بتقييمات البيئة

المحيطة بك ، أملا بالنجاح والفلاح ، ولكن هيهات ... فالنجاح والفلاح يكمنان في التوافق مع الكينونة .

" فاكتشاف كينونتك وكينونة أعمالك والتوافق معها ، من أهم مسؤولياتك أيها الإنسان "

قانون الجهد الأقل:

استكمالاً لقانون الكينونة وتتابعاً معه ، فإن قانون الجهد الأقل يقول : العمل الصحيح القانوني كونياً ، هو العمل الذي تتوافق فيه كينونة العامل مع كينونة العمل ، والذي يقدم فيه العامل جهداً قليلاً ويحصل على نتائج كثيرة ووفيرة . وهذا طبعاً يخالف كل ما تعارف عليه غالبية البشر .

فالكل علمنا منذ الصغر أنك لكي تحصل على ثمار وفيرة فما عليك إلا أن تبذل جهداً هائلاً ، وإذا أردت زيادة الثمار فما عليك إلا زيادة الجهد حتى الهلاك . وفي هذا قال الشاعر :

لا تحسبن المجد تماًراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبراً

أما شعار قانون الجهد الأقل فهو يقول :

" إذا توافقت مع الكينونة فإن جهداً أقل يعطي ثماراً أكثر "

أي أنك أيها الإنسان إذا توافقت مع كينونتك الأصلية في علمك وعملك وشراكاتك في حياتك ، فإن جهداً قليلاً يعطيك ثماراً متزايدة . وأكبر دليل على هذا القانون هو التطور الذي حصل في علم الميكانيكا . هذا العلم الذي نجح في نقل كتل ضخمة بجهد بشري يكاد يكون معدوماً مقارنة بالنتائج المتحصلة .

وكذلك النتائج التي حصلها الإنسان عندما اكتشف كينونة النباتات ، فاستطاع مضاعفة الإنتاج بنفس مساحة الأرض المزروعة ، وبنفس الجهد والوقت والمال المنفق . وما الطرائق الحديثة في التعلم والتعليم إلا نتيجة اكتشاف الإنسان لكينونة دماغه واتباعه طرقاً في التعلم والتعليم تتوافق مع هذه الكينونة¹ . فتم بهذا تخفيف الجهد كثيراً مقارنة بالنتائج المتحصلة . طبعاً مع ملاحظة أننا قلنا جهداً أقل مقارنة بالنتائج المتحصلة ولم نقل انعدام الجهد .

¹ لمزيد من الاطلاع ، يرجى مراجعة كتاب " ادرس بذكاء وليس بجهد " لكيفن بول - إصدار مكتبة جرير .

"العمل وفق الجهد الأقل ، من أهم مسؤولياتك أيها الإنسان "

قانون السبب والنتيجة :

شعاره :

" إذا رضيت بالسبب فقد رضيت بالنتيجة "

وشرح هذا القانون : أن كل عمل هو مقدمة لنتيجة مرتبطة به بنيوياً (كينونةً) . ولهذا فإذا أصبت بمرض تصلب الشرايين ، فلا يحق لك أن تقول إنك لم تكن تفكر بهذا المرض ، ولم ترده ، ولم تجذبه ، حتى إنك لم تسمع به أصلاً . أنت صادق بكلامك نعم لم ترد المرض ، ولم تتكلم عنه بأي لغة ومشاعر سواء أكانت إيجابية أم سلبية ، ولكنك قبلت المقدمات المنطقية لهذا المرض . لقد قبلت تناول الدهون أو السكريات أو المشروبات الكحولية أو التدخين ، والإفراط بها لعدة سنوات ، وكنت مستمتعاً بذلك ... حسناً ، قبلت السبب ، فكأنك قبلت النتيجة ، وذلك للارتباط البنيوي (ارتباط كينونة) بينهما .

قانون الجذب :

شعاره :

ما لم يكن هناك عقبة راسخة في لا وعيك ، فإن كل ما تفكر فيه وتتحدث به ، يحدث في حياتك ، حتى لو لم تكن تريده .

بعد انتشار قانون الجذب عبر وسائل الإعلام ، فهم البعض أن الجذب يكون فقط للأشياء الإيجابية في حياتنا . وأعد الكثيرون أنفسهم جيداً لجذب الخيرات والنعم والسعادة . ولكنهم لم يعلموا أنه ووفق قانون الجذب يمكن أن يجذبوا المصائب والكوارث لأنفسهم ، حتى دون أن يقصدوا ذلك .

ولعل من أهم عقبات الإيمان بهذا القانون ، أنه صالح للتطبيق بطريقة لا تصدق . فالإنسان (ضمن شروط معينة) هو الذي يخلق مستقبله ، انطلاقاً مما بناه في حاضره القريب الآني من أفكار/ ذبذبات تلقي بآثرها على مشاعره ، فسلوكه ، فنتائجه . أما لماذا لا يستطيع الناس خلق عالم جميل ، مليء بالمثاليات والآمال والسعادة ؟ فالجواب لأنهم لا يعرفون أن بإمكانهم فعل ذلك . فينتظرون حدوث معجزة ما ، تحقق لهم أحلامهم العظمى ، ويتفرغون هم لجذب أحلام تافهة حتى لو حققوها ، لن تحقق لهم السعادة البتة ، بسبب فساد بيئاتهم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية .

الجذب والكينونة :

لو طلبت سمكة رزقها في الماء لوجدته ببسر وسهولة . ولو طلبته خارجه لقتلت نفسها . كذلك أنت أيها الإنسان ، اجذب الخير في المجال الذي خلقت له ، فكلّ ميسرّ لما خلق له . ولو جذبت شيئاً خارج المجال الذي خلقت له ، لأهلكت نفسك وربما لم تنل شيئاً ، ولو نلتها ربما أضرت بك . هل علمت لماذا يفشل الجذب والدعاء ... وتبقى المسألة كيف نعرف المجال الذي خلقنا له وخلق لنا .

قانون التوقع

شعاره :

" ما تتوقعه ، يرتفع معدل حدوثه "

بالعودة إلى قانون الذبذبات ، ما يخرج منك ، يرتد إليك مضاعفاً . ووفق قانون المسؤولية، ما يحدث لك وفيك وعليك فهو منك . فإن كل ما تفكر فيه (تذبذبه) يرتد إليك مضاعفاً . إذا دوماً عليك أن تفكر بالأحسن وتتوقع الأفضل لكي تحصل على الخير دوماً . فإذا توقعت أن امتحانك الدراسي سهل ميسر ، فعلى الأغلب هو كذلك ، وتفسير ذلك من تفسير قانون الذبذبات وقانون المسؤولية . وإذا لاحظت أننا قلنا (إذا توقعت امتحانك سهلاً ميسراً) ولم نقل سيكون سهلاً ميسراً ، ونقصد بذلك ألا تدخل احتمال السهولة واليسر في المستقبل ، وإنما الآن (لا تدخل السين وسوف على توقعك) . فما يهم هو حالتك الذهنية والمشاعرية وقت الطلب . وهذا ما سندرسه بالتفصيل في قانون الدعاء .

ولأن التوقع شيء يخص المستقبل ، فإنه يجب عليك أن تكون بحالة تحقق التوقع قبل أن يحين وقت حدوثه ، وهذا هو سر فعالية وخطورة قانون التوقع ، كما في قانون الدعاء .
فإذا توقعت رزقك وفيراً مباركاً ، وكنت حقيقة تفكر بذلك وتشعر بذلك ، فكن على ثقة تامة أن رزقك هو كذلك ، ولا تقل سيكون كذلك . إن إدخال السين وسوف إلى التوقع ، يضعفه كثيراً ويقلل من طاقته التوكيدية الفعالة .

ولأن الذبذبات الجماعية مركزة أكثر من الذبذبات الفردية ، فإن التوقع الجماعي كذلك تتركز طاقته الجمعية على شيء واحد فتحدث تياراً قوياً من الموجات التي تتوجه باتجاه الحدث المتوقع ، وتترك عليه أثراً كبيراً لا يمكن نكرانه . لذا نرى أن أفكار وتوقعات الناس الناجحين قلما تخيب ، بينما أفكار وتوقعات الناس الفاشلين قلما تصيب . وكذا الأمر بالنسبة للمجتمعات الناجحة أو التي تعتبر نفسها ناجحة ، والأمر نفسه للمجتمعات التي ترى نفسها مع الفاشلين الخائبين .

" إذا كان التوقع جماعياً ، ترك نتيجة مذهلة ... انتبهوا لتوقعاتكم "

إذا القاعدة تقول : أضف إلى وسائلك وأسبابك التي تأخذها بالحسبان ، وسيلة وسبباً جديداً هو حسن التوقع ، واستمتع بهذا السبب الذي يعتبر تطبيقه ذا تكلفة بسيطة ، حيث أن صاحبه أكثر اطمئناناً وأماناً من صاحب التوقع السيئ . وكما في الحديث القدسي " أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء " ¹.

ثم إن خلط استثمار قانون التوقع مع قانون الدعاء يعطي نتائج مذهلة على المستوى الفردي والجماعي . لذا ومنذ الآن ستكون توقعاتنا وأدعيتنا بالخير الدائم في كل مكان وفي كل زمان . فنحن شركاء فاعلون في صنع قدرنا .

قانون احتمالية الكون :

وهذا القانون له علاقة وطيدة جداً بقانون المسؤولية ، حيث إن الكون وما فيه يتشكّل لحظة فلحظة ، وتشكله هذا يخضع لعدة عوامل واعتبارات منها فكر الإنسان وذبذباته وتوقعاته .
شعار هذا القانون :

" كل ما في الكون يعيش واقعاً احتمالياً ، وما سيحدث هو ما تركز عليه بأفكارك "

¹ الراوي : واثلة بن الأسقع - المحدث : ابن حبان - المصدر : صحيح ابن حبان - الصفحة أو الرقم: 634 - خلاصة حكم المحدث : أخرجه في صحيحه .

فكل ما تركز عليه بفكرك الفردي أو الجماعي يؤثر على احتمالية حدوث الأحداث التي تغير واقعك ، وتغير بالتالي مستقبلك . فكل وضع آني له عدد لا متناه من الاحتمالات للتغير والتشكل . فأى احتمال هو الذي يفوز بالعادة ؟ إنه الاحتمال الذي تشبعه بأفكارك ولغتك الفردية والجماعية .

إننا بهذا لا نكون مسؤولين عن أنفسنا فقط ، بل مسؤولين عن كل ما حولنا من البشر والأشياء ، التي تتأثر بنا . وعليه أيضا يكون الآخرون مسؤولين عن سعادتنا وتعاستنا ، طبعاً إذا تأثرنا بهم .

وهذا ما يفسر حدوث الكوارث للأطفال والأبرياء ... فهذا الحدوث لا يكون وفق القيم والمبادئ والطفولة البريئة ، بل وفق الاحتمال المرجح بالأفكار/ الذبذبات ، أي أننا هنا نقصد أفكار وذبذبات الآباء والمربين المسؤولين عن هؤلاء الأطفال .

قانون الدعاء :

(وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...) (غافر / 60) .

شعار هذا القانون :

" ما لم يكن هناك عقبة داخلية من صنعك ، فكل أدعيتك وأمنياتك مجابة "

لكل إنسان أمانٍ وأحلامٍ يريدونها في دنياه . ويعتقد غالبية الناس أن درجة سعادتهم مرتبطة بكم الأحلام والأمانى المستجابة في حياتهم . وكل البشر باختلاف أنواعهم ومشاربهم وعقائدهم ، قادرون على تحقيق أمانيتهم (كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) (الإسراء / 20) .

نعم كل البشر باختلاف أنواعهم ومشاربهم ودرجات إيمانهم وحتى كفرهم ، قادرون على تحقيق أمانيتهم ، إلا من حجب أمانيته بعقبة من صنع يديه وفكره . والعقبة تكون على شكل فكرة (كلمة/ ذبذبة) ترسخ في وعي الإنسان ولا وعيه فتفعل فعلها في إعاقة وصول الفرحة إليه.

" لا يوجد عقبات خارجية أمام أدعيتك وأمانيك... كل العقبات داخلية من صنع يديك "

دعاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام :

بعد مضي سنوات وعقود من الدعاء ، " يَا زَكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ... "

أمضى نبي الله زكريا عليه السلام سنوات طوال في انتظار الولد الوريث لحمل الرسالة الإلهية التي اختص الله بها آل يعقوب . واستمر يدعو الله أن يرزقه هذا الولد لسنوات وعقود طويلة ، دون جدوى . فلا الدعاء استجيب ، ولا شوق نبي الله للولد زال أو حتى نقص . وتستمر المعاناة حتى بلغ النبي من الكبر عتياً . وأصبح النبي الإنسان يخشى ما يخشاه أي إنسان من الوهن والشيب وفقدان القدرة على الإنجاب ، أو من فقدان الحياة ذاتها . وأكثر ما كان يحيّر نبي الله أن كل أذعيته مستجابة إلا دعاء الولد (... وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) (مريم/4) فما السبب ؟ حتى أن تضرع النبي عليه السلام وخوفه من الموالي من ورائه أن يضيعوا الرسالة وتضيع معها عقيدة التوحيد الخالدة ، لم تُجد شيئاً في تلبية دعائه ، رغم قوة الحجة وعظم الخطر .

وفجأة ، وبعد عقود طوال من عمره عليه السلام ، يأتي الفرج ، وكأنه دون مقدمات ، ودون أسباب تعرف . وهذا ما تذكره الآيات الكريمة (1-10) من سورة مريم، حيث تبين أن الفرج وإجابة الدعاء أتيا فجأة بقوله تعالى: "يا زكريا إنا نبشرك بغلام ..."

(كهيعص * نِكُرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يَا زَكْرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7) قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (9) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) (مريم / 1-10) .

ولكن الأمر لم يكن كذلك ، فكل ما في الكون يقوم على قوانين دقيقة مقدره منه جل وعلا بتقدير سنني لا يغيره إلا خالق القوانين والسنن ، إذا أراد .

الفرج والاستحابة - لحظة هناك :

لقد بدأ الفرج على نبي الله زكريا بالتحقق منذ أن كفل السيدة مريم عليها السلام ، وبدأ بتربيتها في بيته . وقد جعل الله للسيدة مريم قدراً استثنائياً لم تحظ به أنثى قبلها ولا بعدها ، ألا

وهو أنها ستحمل بالسيد المسيح عليه السلام من دون زواج . وهذا الأمر بحد ذاته يفقد أي فتاة عفيفة متبلة صوابها ، ويذهب بلبها . لذا عودها الله منذ صغرها على تشكل الحدث المعجز في حياتها من دون أسباب ولا مقدمات منطقية مرتبطة بما قبلها .

كانت عليها السلام تدخل محرابها للتعبد والتحنُّث فتجد فيه كل ما تمنته وشاءته من احتياجاتها من الأرزاق اليومية والاستعمالية ، فتعودت على ذلك ورأت فيه شيئاً طبيعياً سهلاً ميسراً بقدره الله جل وعلا ، ولم تر في الأمر أي استغراب . فأيمانها الراسخ بقدره الله جعل هذا الحدث التكراري المعجز شيئاً طبيعياً لا يثير فيها أي دهشة أو حيرة .

ولكن كان نبي الله زكريا يدخل عليها محرابها ، فيجد هذا الرزق فيه ولا يعرف من أتى به أو من أين أتى ، والبيت بيته ، وكل ما يحصل في البيت يفترض أن يكون بعلمه .

وذات مرة إذ دخل عليها المحراب ، سألتها : يا مريم أنى لك هذا ؟

أجابت بكل ثقة وهدوء : هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل

عمران / 38)

لحظة هنالك... غيرت في النبي زكريا ، فطلب من الله الولد ، ولم يقل امرأتي عاقر . هذه المرة دعا الله في لحظة (هنالك) دون أن يضع عقبة في وجه دعائه وهي أن امرأتي عاقر فكيف ستلد الولد وهي عاقر . عند رؤيته الرزق في محراب السيدة مريم عليها السلام ، وسماعه لجوابها ، وصل يقينه إلى درجة عالية (هنالك) فطلب الولد ، فتمت الإجابة فوراً .

فالأمر بكل بساطة أن النبي زكريا عليه السلام كان ، دون قصد منه ، يضع عقبة داخلية في نفسه أمام تلبية دعائه . وهذه العقبة كانت اعتقاده أن امرأته عاقر ، فكيف سيأتي الولد . لكن لحظة (هنالك) رفعت درجة اليقين عنده فطلب دون عقبة ، فتمت الاستجابة دون مهلة، (وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر / 60) .

وبعد الاستجابة تنبّهت النزعة البشرية الطبيعية عند النبي عليه السلام فقال (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ...) فجاءه الجواب جازماً أيضاً (قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (آل عمران / 40) .

والآيات من سورة آل عمران تبين ما لم تبينه آيات سورة مريم ، والقرآن الكريم يكمل بعضه بعضاً .

(كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ

لُدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (آل عمران / 37 - 40) .

فالعقبة الداخلية عند نبي الله زكريا عليه السلام ، كانت : امرأتي عاقر... يردد هذه العبارة عقودا من عمره ، ولم يقل مرة واحدة : اللهم أصلح لي زوجتي العاقر . انتبهوا لخطورة الكلمات وأثرها على قناعاتنا وتوقعاتنا ، وأخيرا على أدعيتنا وإجاباتها .

الاستجابة وموعد التنفيذ :

(قَالَ قَدْ أُجِيبْتُ دَعْوَتُكُمْ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (يونس/89)

هل من الممكن أن يكون الدعاء مجاباً ، ولكن موعد تنفيذه يتأخر ؟
الحقيقة أن هذه طبيعة غالبية الأشياء . فموعد تنفيذ استجابة الدعاء مرتبط بكونه الشيء المتعلق به . فاستجابة الدعاء بالولد ، توجب حدوث الإلقاح ، ثم أشهر الحمل ، ثم الولادة . ولكل ولادة كينونة كونية لا يمكن تغييرها .
وربما استجيب الدعاء فوراً ، وتأخر موعد تنفيذه حكمة من الله ورحمة .

إن كانت استجابة الدعاء رحمة من الله ، فموعد تنفيذه رحمة كذلك .

هل من عقبات وموانع أخرى لاستجابة الأدعية والأمانى :

لكل دعاء وأمنية غير مستجابين سبب ومبرر لعدم الاستجابة . ولقد تحدث الكثير من العلماء عن ذلك وأفاضوا فيه . ولكننا نرى أن السبب الرئيس لعدم الاستجابة هو وجود عقبة داخلية في نفس صاحب الدعاء والأمنية . والقانون كما ذكرنا يقول : إنه لا توجد أي عقبة خارجية أمام أدعيتك وأمنياتك ، كل ما هنالك عقبات داخلية أنت قبلتها ورسختها في نفسك .
ولكن لشرح العقبة الرئيسة الكأداء ، علينا شرح بعض الأسباب أو العقبات الأخرى لعدم استجابة الدعاء وعدم تحقق الأمنية ، وهذه الأسباب والعقبات لا تخرج عن كونها أسباباً وعقبات داخلية تعود في مرجعيتها إلى السبب الرئيس الأساس ، إنما نذكرها لمزيد من الشرح والتفصيل ، لما لهذا الأمر من أهمية بالغة في حياة الإنسان الفرد والمجتمع .
وهذه الأسباب والعقبات هي :

أولاً - مخالفة الدعاء والأمنية لكيونة ما :

كيونة الشيء ، هي طبيعة خلقه وتركيبه . ولكل شيء في الكون بنيته وعلاقاته المكانية والزمانية ، وشروط لتجليه ونموه وتحوله وفنائه . ولشرح فكرة مخالفة الدعاء أو الأمنية للكيونة ، نأخذ المثال العملي التالي :

لو أن فلاحاً نثر في حقله بذار شعير ، ثم بدأ بالعناية بها من سقاية وتسميد وتشذيب . وكان دعاؤه وأمنيته طيلة الموسم أن يرزقه الله محصولاً وافراً من القمح . هل يستجاب هذا الدعاء ؟ الجواب : لا . لأن هكذا دعاء يخالف الكيونة ، كيونة البذار التي نثرها ، وكيونة قانون الحصاد الذي يقول ما تزرعه تحصده ، شئت أم أبيت .

يصاب الكثير من الأشخاص ذوي الأعمال المهمة بأمراض تنتج عن الإفراط في التوتر والقلق العصبي . ويعتقدون أن ذلك بسبب طبيعة عملهم . والحق أنه ناتج عن عدم وعيهم بضرورة ترتيب أولوياتهم ، وتعلم قوانين حسن إدارة مواردهم . ثم هم يلجؤون إلى العلاج عند أمهر الأطباء ، وأشهر مراكز الاستشفاء الطبيعية . دون أن يفتنعوا بإحداث تغيير في أنفسهم ، وفي أسلوب حياتهم . هل يشفون ؟ الجواب لا .

لأنهم مخالفون لكيونة خلقهم وكيونة طبيعة أعمالهم ... هناك أشخاص أكثر أهمية وخطورة في مسؤولياتهم ، لا يصابون بهكذا أمراض .

كثير من الطلبة الجامعيين دخلوا تخصصات وفروعاً لا تتوافق مع طبيعة ميولهم العقلية والعاطفية (مخالفة كيونة) . ثم تخرجوا من الجامعة دون أن يشعروا بيوم واحد من اللذة أو السعادة أو الرضا عن أنفسهم أو عن العلم الذي يدرسونه... هل سيبدعون؟

ثانياً - الاستعجال :

لعل استعجال تحقق الأمنية والدعاء من أخطر ما يعانیه بنو الإنسان بسبب جهلهم بكيونة الكون وبناء المعقدة المترابطة ترابطاً بنيوياً متكاملأ . فلكي يستجاب دعاؤك وأمنيته ، يجب أن يحدث ترتيب جديد في مسرح الكون المحيط بك ، وهذا الترتيب يجب أن يكون لصالحك ولصالح غيرك من الناس .

ولو حدث أن استجيب دعاؤك دون الترتيب اللازم لهذا ، لكان الأمر وبالاً عليك أو على غيرك أولاً ثم عليك ثانياً . لذا فإن من حكمته جل وعلا أن الأدعية والأمانى تتحقق وفق قوانين وتراتب دنيوية مقبولة ومفهومة عقلياً ، وبأسباب دنيوية متصلة بعضها ببعض . وهذا ما يسمح للكون أن يسير بشكل منتظم لا غرابة فيه ، وهو عينه ما يعطي الإنسان القدرة على تسخيرها واستثماره إذا هو فهم قوانينه وكيونته .

ومن الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على ذلك :

(أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) (يونس / 51) .

(وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) (الرعد / 6) .

(لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُتَوَسَّعْ قَنُوطًا) (فصلت / 49) .

لكن استعجال التنفيذ لو حصل ، ربما سبب لك كارثة حقيقية بسبب تعارض ما تحقق لك مع باقي مكوناتك المادية والمعنوية . فلو رزقت مولوداً قبل أوانه الطبيعي ربما جاءك معاقاً أو مشوهاً أو غير ذلك . وإذا وهبت قوة مادية أو معنوية قبل أن تكون جاهزاً لاستقبالها ، ربما كانت هذه القوة وبالأعلى عليك (الانهيار تحت فرط الطاقة) . وإذا رزقت مالاً ، ولم تكن تعرف قوانين استثمار المال وحسن إدارته ، لربما بددته وبذرتة وأهلكته في غير موضعه . وهكذا ... الاستعجال خطيئة .

ثالثاً - الشك والشعور بعدم الاستحقاق :

وهذه من أخطر العقبات الداخلية التي يتقبلها الإنسان ، وغالباً دون قصد منه ، ولا يسهل عليه التخلص منها . هذه العقبة على الأغلب تنشأ مع التربية منذ الصغر بسبب مقولات يرددتها الآباء أو المعلمون أو ما شابههم أمام الأطفال ، فتنغرس فكرة راسخة في أذهانهم ، تفعل فعلها طيلة حياتهم دون أن يعلموا أنها هناك في الأعماق ، ودون أن يعلموا كيف يتخلصون منها . وكيف تتخلص من فكرة وأنت لا تعلم أنها مغروسة هناك في الأعماق المظلمة من وعيك القديم ، الذي تحول مع الأيام إلى مكنونات تدير شؤونك دون أن تعلم ؟ كيف تتخلص من الثابت الخفي غير المرئي الذي يشكل العدو الأخطر في حياتك ؟ وكيف تتعامل معه بإيجابية وأنت لم تدرك بعد كيانه في ذاتك ؟

إن هذا الثابت الخفي غير المرئي هو: فكرة "أنا لا أستحق" ، والتي تأخذ عدة أشكال في

نفوس الناس :

فربما تظهر على شكل زهد بالشيء ناتج عن ثقافة سلبية تشربها الإنسان منذ طفولته ، فيظن أن الفضيلة تكمن في الزهد بإمكانات الارتقاء والنمو المادي والروحي .

وربما تظهر على شكل : أريد هذا ولكن ، من أنا حتى أحصل عليه ؟ وهذه الفكرة نتجت عن الغياب التام لوعي الإنسان بقدراته التي وهبها الله له ، وغياب الوعي بمسؤولياته التي ألقاها الله على عاتقه .

وربما تظهر على شكل أنا أريد هذا الشيء ، ولكن لن أحصل عليه إلا بالتخلي عن ثوابت مهمة في حياتي . دون أن يدرك أنه توجد طرق واحتمالات متنوعة لتحقيق ما يحلم به دون التخلي عن هذه الثوابت المهمة .

ويبقى السؤال : كيف أعرف أن هذه العقبة موجودة في داخلي ؟

تمرين :

عندما تقف أحلامك ورغباتك عند نقطة معينة ثابتة ، لا تتقدم ولا تتأخر . عندما تشعر أن هناك خطأ ما ، لكن لا تعرف ما هو . عندما تخطط وتعمل وتأخذ بالكثير من الأسباب وفجأة يتغير كل مسرح حياتك تجاه الأسوأ . عندها عليك بما يلي :

اجلس في مكان هادئ ومريح ، بعيداً عن الناس والضوضاء . وابدأ بالتنفس الهادئ العميق لعدة دورات تنفسية ، ضع تركيزك الذهني على الهواء الداخل والخارج من جوفك بكل سلاسة ويسر . حتى تصل إلى مرحلة السكينة والاطمئنان .

ثم اطرح السؤال التالي : أريد هذا الأمر (اذكر اسمه) ولكن هناك عقبة كأداء في داخلي، في ثنايا ذاتي العميقة ، في أفكاري ومعتقداتي... أريد أن أعرف ما هي ؟ انتظر بهدوء ، وراقب ... ماذا خطر على بالك .

لا شيء .. إذا أعد التنفس والسؤال .

إذا وصلت لفكرة ما ، ركز عليها وحاول مناقشتها بهدوء .

إذا انفلتت وأنت تناقش هذه الفكرة ، إذا حاولت أن تصرفها عن ذهنك... انتبه هذه هي ، تمسك بها بهدوء ولطف ، لا تهرب منها .

ابدأ بمناقشتها بعمق ، طارحاً أسئلة حولها من مثل : لماذا - ماذا - كيف - متى -

أين- مَنْ - إلى متى - من هو - هل... الخ .

وراقب ما يأتيك من إجابات .

فإذا تأكدت أنك وصلت إلى الفكرة / العقبة ، قف عندها .

تعرف على مبرراتها في الحياة ، واعلم أن لها حق الحياة ، فأنت أو تربيتك من غذاها .
قم بتفكيكها وتحليلها إلى عواملها الأولية ...

اقترح أفكاراً لإخراجها من ذاتك... إذا شعرت بالراحة لأي فكرة إخراج ، تبناها على الفور ،
وإلا فقم بمناقشتها أو إلغائها .

أخيراً إذا نجحت في اكتشافها وتفكيكها ، وعرفت طريقة إخراجها ، عندها ثبتت الفكرة البديلة
أو المعتقد الإيجابي الذي يجب أن يحل محلها ، وابدأ بترسيخه عن طريق تكرار التكلم به صمتاً
مع نفسك ، أو بصوت هادئ واثق مع غيرك .
هذا تمرين بسيط ، فقط يحتاج إلى صبر وأناة في تطبيقه .

إن فكرة أنا أستحق إذا انغرست في وعي الإنسان العميق ، فعلت الأعاجيب في حياة هذا
الإنسان وإرادته .

رابعاً - تعارض دعاءين أو أكثر :

إن كنت تصلي ، فأنت تقرأ سورة الفاتحة سبع عشرة مرة يومياً على الأقل . في هذه السورة
دعاء نكره كثيراً ، وهو (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ، وهو دعاء يومي تطلب فيه من الله أن
يهديك الطريق السليم للنجاة في الدنيا والآخرة . فإذا دعوت أي دعاء آخر ، وكان فيه ما
يعارض الدعاء الأول المكرر كثيراً لأيام وسنوات ، فإن دعائك الثاني قد لا يستجاب إن لم يكن
يقودك إلى الصراط المستقيم . وهذا من رحمة الله بك ، مثله مثل تأخير موعد تنفيذ الدعاء .
إن كنت تدعو الله أن يفتح عليك بالعلم والفهم ، ويرزقك متعة البحث والاستكشاف ، وكنت
في الوقت نفسه تريد المال الوفير والعمل التجاري المريح . فإن هاتين الرغبتين متعارضتان فيما
بينهما . فالعمل التجاري الناجح ذو المردود الوفير يحتاج إلى أن توجه كل قدراتك له ، وتفرغ
كل وقتك ومشاعرك تجاهه . والبحث العلمي كذلك يحتاج منك إلى التفرغ وانصراف الذهن إلى
البحث وطلب العلم ، والتدقيق العميق في كل فكرة صغيرة أو كبيرة .

هاتان الرغبتان ، إن لم تُزل التعارض بينهما في التوقيت مثلاً (أن تجعل إحداهما بعد
نجاح الثانية) فإن أدعيتهما أدعية متعارضة ، والذي يستجاب منهما هو ما تعطيه قيمة أعلى
في منظومتك العقلية الراسخة . والأخطر أنه ربما إحداهما تضيع الأخرى ، لأنك أعطيت للثنتين
القيمة والرغبة نفسيهما ، رغم تعارضهما في الكينونة .

تنبيه :

ربما عدم استجابة الدعاء هو الرحمة :

(دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الأعراف / 189-190) .

قانون مستويات الحقيقة :

إحدى أهم مسؤولياتك أيها الإنسان أن تعلم في أي مستوى من مستويات الحقيقة أنت ، وأن تعلم في أي مستوى من مستويات الحقيقة يكون من يخالفك .

انظر إلى شيء ما عن كثب ، وتأكد من ماهيته... ثم اصعد إلى مرتفع بسيط ، وانظر إلى ما تراه وحدد ماهيته . واطلب من أحدهم (شخص ثانٍ) أن يأخذ مكانك السابق ، واطلب منه أن يحدد ماهية ما يرى ثم اصعد إلى مرتفع أعلى ، وانظر إلى موقعكما السابقين ، وانظر إلى ما ترى الآن وحدد ماهيته وأبعاده . واطلب من الشخص الثاني أن يأخذ مكانك الثاني ويخبرك ماذا يرى . واحضر شخصا ثالثا ، وضعه في مكان الشخص الثاني (مكانك الأول) واطلب منه أن يحدد ماهية ما يرى ... الاثنان قد لا يصدقان ما ترى أنت . لكنك تصدق ما يرونه لأنك جربت قبلهم ... هذه هي مستويات الحقيقة .

كلما ارتقيت بالمعرفة ، تسامحت مع الآخرين لأنهم يقولون ما يعرفون وهو صادقون ، وأنت تعلم أنهم صادقون ، لكن رؤيتهم غير كافية لرؤية الحقيقة كاملة ، يخالفونك لأنهم لا يعلمون ، ولم يروا ما رأيت أنت . ألا تذكرون لم كل نبي قال لربه : رب اغفر لقومي إنهم لا يعلمون .

القانون الأساس الثالث

قانون ثنائيات القطبية

شعار هذا القانون : كل ما في الكون ثنائيات إلا الله ، والألم هو تطرف في أحد الثنائيات .

ولهذا القانون خمس قواعد رئيسة هي :

1. كل ما في الكون ثنائيات إلا الله جل وعلا .
2. إذا تطرفت إلى قطب من أقطاب الثنائية ، ظهر لك الألم .
3. إذا تطرفت إلى قطب من أقطاب الثنائية ، انقلبت إلى القطب المضاد .
4. الراحة في الوسطية والاعتدال ، ولكنها فترة مؤقتة .
5. الارتقاء في الوسط ، هو العيش في قطب الأحديّة .

تفصيل القواعد الخمس :

خُلِقَ الكون على مبدأ الثنائيات ، ومن هذه الثنائيات تتوالد كل الخلائق فيما بعد . كل مخلوق في الكون له زوجه المكمل له ، والذي لا يعيش من دونه . فإن فَنِيَ قطب من أقطاب ثنائية ما ، يصبح فناء القطب الآخر مسألة وقت لا أكثر .

ولهذا فشلت كل محاولات البشر للقضاء على قطب من الأقطاب ، لأنك بقضائك على هذا القطب ، فنيت الآخر دون أن تعلم . وكم من محاولات بعض الزعماء السياسيين المهووسين بالقضاء على الآخر باءت بالفشل الذريع ، ودوماً كان الآخر يظهر لهم من حيث لا يحتسبون . فلا الشر استطاع في يوم من الأيام إفناء الخير . ولا الخير استطاع إفناء الشر . ويبقى في مسرح الصراع متسع لكلا القطبين وهذه هي كينونة الخلق . وكل من خالف كينونة الخلق باء بالفشل . وكل نظرية خالفت كينونة خلق الكون نجحت فقط في نشر المزيد من التعاسة والشقاء .

ولكن هل هذا يعني عدم وجوب تصارع القطبين في أي ثنائية من الثنائيات ؟ الجواب :
نعم يفضل عدم تصارع أي قطبين في أي ثنائية من الثنائيات ، ولو حدث هذا لكانت حالة
الأمن والسلام هي سيدة الكون كله . ولكن ذلك يخالف الكينونة ذاتها ، كينونة خلق الكون ذاته .
فبعض الثنائيات خلقت أقطابها للتعاون والتسامح ، والتكاثر بالمودة والمحبة ، كقطبي
الإنسان (الذكر / الأنثى) . وبعضها قامت طبيعة خلقه على الصراع والتنافس الأبدي كقطبي
ثنائية (الجلال / الضحية) . فقطبا هذه الثنائية إذا التقيا - وطبيعتهما أن يلتقيا ببحث كل قطب
عن الآخر - تقاتلا وتبادلا الأدوار حتى يُفقد كل قطب الآخر سعادته وهناءه ، وبهذه الطبيعة
ينموان ويوطدان مكانتهما في الحياة بين الأشقياء والتعساء .

هل من حل جذري لإنهاء صراع واقتتال القطبين في الثنائية ؟ نعم هناك حل بسيط ولكن
طبيعة خلق هذا الحل أنه مؤقت . فالحل الجذري لإنهاء صراع أي قطبين في أي ثنائية هو
التوسط والاعتدال . ففي التوسط والاعتدال يحافظ كل قطب على شيء من كيانه ، ويفرغ
المكان لشيء من كيان الآخر ، وبهذا يفقد كل قطب عنفوانه ويعيش بأمن وسلام .

ولكن لماذا هذا هو حل مؤقت ؟ لأن البقاء في منطقة التوسط والاعتدال ممل وليس فيه ما
يهيج الحياة أو يثير الرغبة والشوق فيها . فغالبية البشر تعودوا العيش بتوتر وارتعاش عنيف ،
وكان العنف - حتى في الحب - هو طبيعة الكون .

ألا ترى أن غالبية الناس تمقت الإنسان الهادئ خفيف الانفعال كثير الصمت . لقد تعودوا
على الإيقاع العالي للحياة ، فلم يعد يطربهم سكون الطبيعة وصمت الكون وهدوء النور . لكن ما
أن يدركوا ذلك ، ولو بالصدفة ، حتى يعشقوه ويطلبوه ، وللأسف أحيانا يطلبوه بعنف وتوتر ،
وهيئات فالموجتان المختلفتان لا تلتقيان ، هذه طبيعة خلق الله .

ولكن ألا يمكن أن يدوم هذا الحل (العيش في منطقة السكون والاعتدال) أو يطول وقته
قدر الإمكان ؟ أن يدوم أبداً ... ربّما لم أجرب بعد ، ولكن يمكن أن نطيل عمر هذه الفترة
وذلك بالارتقاء الروحي في قطب الأحديّة . إن قطب الأحديّة هو الاتصال بالله الواحد الأحد
الذي هو واحد لا ثاني له ، فهو خالق كل الثنائيات ولا ثنائية له .

إن العيش في هذه الحالة يجعلك متوافقاً مع كينونة الكون الأصلية (التوافق مع الذبذبات
الإيجابية العالية جداً) . ولكن هل يوجد إنسان عاش حياته على هذه الأرض ماكتأ في قطب
الأحديّة دائماً ؟ السؤال متروك لكم .

ولكن لماذا يظهر الألم عند التطرف في أحد أقطاب ثنائية من الثنائيات ؟

ولماذا ينقلب المخلوق (أي مخلوق) إلى القطب المضاد عند تطرفه الشديد في قطب من أقطاب ثنائية ما ؟

كل هذا وأمثاله كثير سنعرفه من التطبيق العملي التالي لقانون الثنائيات:

ثنائية التعلق والرفض :

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
اقتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (التوبة/24).

وهذه من أشهر الثنائيات في حياتنا ، ثنائية التعلق والرفض.

وخلاصة قاعدة هذه الثنائية ، أنك :

- إذا تعلقت بشيء بقوة ، ابتعد عنك وسبب لك الألم .
- إذا رفضت شيئاً بقوة ، التصق بك ، وظهر لك في كل مكان ، وسبب لك الألم .

إذا سبب لك شخص ما أو شيء ما ألماً وضيقاً شديداً ، فاعلم أنك متطرف بالتعلق به ،
أو رافض له بتطرف . فما إن تصل إلى درجة التطرف وشدة الانحياز مع أو ضد ، حتى يظهر
لك الألم حصراً مما تعلقت به أو رفضته بشدة . وطبعاً درجة الألم تتبع شدة التعلق أو الرفض .

قصة من الواقع :

أصيب أحد أصدقائي بمرض السرطان . ذهبت لزيارته وأنا أفكر ملياً أن هذا المرض
يصيب على الأغلب الذين يكتبون غضباً واحتقاراً شديدين ، فما مبرر أن يصاب هذا الصديق
وأنا أعرف خُلُقَهُ وسماحته وطيبه نفسه ... طيلة الطريق وأنا أفكر ولم أجد مخرجاً مقنعاً
لتساؤلاتي .

بعد حوار طويل وطيب ، ومن أجل مساعدته ودعمه نفسياً وفكرياً ، سألته :

أنا أعرفك منذ زمن بعيد ، وأعرف خصالك الحميدة وخلفك القويم ، وحسن عشرتك للناس،

فهل من غضب تكبته ولا تستطيع التنفيس عنه ؟

أجابني : ألا ترى النفاق المستشري بين الناس ؟ ألا ترى أن هذا النفاق وصل حتى إلى

رجال الدين وكبار القوم سناً وقيمة بين الناس ؟ ... ألا ترى هذا ؟ ألا تعيشه في المجتمع ؟

قلت له : مثل ماذا ؟

فحكى لي قصة حصلت معه ، كان فيها رجل من عليّة القوم في حالة نفاق وتدجيل .

قلت له : ماذا فعلت تجاه هذا الحدث ؟

قال : لم أفعل شيئاً ، بلعته !!!..... هكذا قال ، بلعته !!!

ثم حكى لي قصة ثانية... وثالثة... ورابعة... ففهمت أنه متطرف بشدة تجاه الأشخاص المنافقين الذين يفترض بهم أن يكونوا قدوة المجتمع .

وفي كل مرة أسأله ماذا فعلت تجاه هذا الحدث ؟

يقول الجواب نفسه : بلعته !!!

هنا - وللمرة الأولى - طرأ في ذهني سؤال مستعجل : عذراً هل من الممكن أن تخبرني أي

نوع من السرطانات أصبت به ؟

قال : سرطان المعدة...!!!

كل محاولات إقناعه بالتسامح باءت بالفشل... استمر في معاناته ، وبلعه لقاذورات

المنافقين . لم يستطع التسامح معهم.... أسباب معدودة وخسرناه إلى الأبد .

وهنا تأكد لي للمرة تلو المرة أن الأحداث السيئة ليست مرتبطة بقيم الأشخاص الذين

تصيبهم أو أخلاقهم ، ولكن مرتبطة بنوعية ودرجة ذبذباتهم (أفكارهم / لغتهم) .

إذا هل لدينا طريقة لحل مشاكلنا من جذورها والتخفيف من آلامنا ؟ نعم . فكل ألم يصيب

الإنسان هو نتيجة عن التعلق أو الرفض . والتوسط والاعتدال هو الحل الجذري للمشكلة .

ولكن كيف أتوسط وأعتدل ولا أتعلق ولا أرفض بشدة ، خاصة بعد أن يحصل هذا ؟

الجواب : سواء حصل هذا أم لم يحصل فهناك طريقان للشفاء والخلاص من التعلق

والرفض الشديدين هما : الوعي ، وقوة الصلة بالله .

كما قلنا سابقاً إن الوعي شفاء . فوعيك بخطورة التعلق والرفض الشديدين هو المصدر

الأساس للتخفيف منهما . فبمجرد أن وعيت منبع الألم ومصدره وسببه ، أصبحت قادراً على

التحكم به . ولكن البعض يقول عرفت ووعيت ولم أستطع التخلص من شدة التعلق ولا شدة

الرفض . أقول له : عرفت وما وعيت . فليس المهم أن تعرف ، المهم أن تكون . وكل معرفة لا

تتحول إلى فعل (كون) ليست معرفة عميقة أي ليست وعياً ... إذ إنك مازلت تسبح في شيطان

معرفتك . والشيطان لا تعلمك السباحة . وكما قال الفيلسوف إقبال رحمه الله :

دع الشيطان لا تركز إليها ضعيف عندها جرس الحياة

وقال في موضع آخر :

إذا وجدت القلب ثم أضعته فالحق أنك ما وجدته

ونتيجة الوعي تقودك إلى المرحلة الثانية وهي قوة الصلة مع الله . فلو كنت محصناً بهذه الصلة لما تعلقت بشدة لأن ما تعلقت به ليس من صنعك ولا هو لك ، وما رفضته بشدة يعيش في كون الله وإرادته وليس في كونك وإرادتك . هذه الصلة ، أو قل إن شئت : **التعلق بالله** يجعل عاطفتك مشبعة ، وبالتالي لا مجال لدخول تعلق آخر ، ولا مجال لشدة رفض شيء أو شخص أنت تعلم يقينا أنه موجود في كون الله وإرادته ، وإن خالف أوامره هذه حكمته جل وعلا ، ولا يفترض به أن يخبرك لماذا .

قصة نبي الله يعقوب وولديه :

(وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا
وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) (يوسف / 105) .

كم مرة قرأنا قصة نبي الله يعقوب في سورة يوسف ؟ وكم من الناس حفظها عن ظهر قلب؟ ولكن القلة القليلة من علم أن فيها سرّاً يخلصنا من آلامنا أو على الأقل يخففها.

جاء التنبيه الأول لنبي الله يعقوب - عليه الصلاة والسلام - على شكل رؤيا رآها ابنه يوسف - عليه الصلاة والسلام - لكنه لم يخفف من تعلقه بيوسف ، ولم يحدّ من مشاعره الجياشة تجاه من حباه الله بكل صفات الجمال الخلقي والخلقي .

ومع أن النبي أدرك خطورة الرؤيا ، إلا أنه عوضاً عن أن يتنبه ويخفف من اهتمامه بواحد من أولاده مقارنة بالآخرين ، قال : (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (يوسف/5) .

وحتى عندما طلب الأولاد من أبيهم السماح لهم بأخذ يوسف للعب والمرح ، قال كلمات عبرت عن مخاوفه وقلقه عليه ، (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) (يوسف/11-13) .

هذه المخاوف التي طالما سيطرت على ذهن النبي، دون أن يعلم أن مخاوفه (أفكاره/ذبذباته) ستحدث يوماً ما إذا لم يغيّرهما. ولكن بدل أن يغيّرهما ، أصرّ على مزيد من الخوف والعناية الفائقة بابنه يوسف ، لدرجة منعت عن هذا الفتى أبسط حقوقه في النمو الشخصي والتفتح الذهني واللعب ومخالطة الأقران .

وحدثت الكارثة ، ووقع الكيد العظيم الذي توقعه وخشيه النبي (الأب / الإنسان) ولا مناص من الاستسلام لأمر الله ... الصبر الجميل رغم الفاجعة . (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (يوسف/ 16- 18) .

وتستمر القصة بيوسف ، من الجُب إلى القصر ، إلى حدوث فتنة القصر التي قادته إلى السجن ، ثم حدوث رؤيا صاحبي السجن التي قادته إلى القصر مرة أخرى ، ولكن هذه المرة قائماً على خزائن الأرض بكل ما أوتي من عقل وحصافة وأمانة تتطلبها هذه المرحلة . إلا أن ما يهمنا هنا هو نبي الله يعقوب عليه السلام . فبعد أن حصلت المجاعة وأتت السنوات العجاف كما توقعها يوسف عليه السلام ، تفسيراً لرؤيا الملك . أرسل نبي الله يعقوب عليه السلام أولاده ليأخذوا حصتهم من الغلات الغذائية التي يوزعها القائم على خزائن الأرض بعدلٍ وإنصاف . وهنا تأتينا تكلمة الحكمة من القصة كلها .

دخل الإخوة على يوسف ، فعرفهم على الفور ، ولكن لم يجد بينهم أخاه بنيامين (وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ * قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَحْتَلِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (يوسف/ 58-63) .

علم يوسف ، عندما لم يجد أخاه بنيامين بينهم أن أباه قد تعلق به من بعده . إذا هو لم يفهم سر الابتلاء¹ ، وطالما لم يفهم سر الابتلاء فلا حل للمشكلة ولا زوال للألم . طالما اشتاق يوسف لأبيه ، ولكن لا يوجد أمر إلهي بالعودة أو بإخبار أبيه بموقعه الجديد، وهو قادر على ذلك بعد أن أصبح المتنفذ الأمر الناهي بتفويض مطلق من الملك (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف/ 54-56) .

عمل نبي الله يوسف عليه السلام على استقدام أخيه ليوصل رسالة لأبيه لا بد منها . وبترتيب متقن مع عماله ، ألبس أخاه تهمة السرقة ليستطيع حجزه ومنعه من العودة . وكل هذا

¹ علينا أن نتفهم دائما أن الابتلاء ليس هو المصيبة . فالابتلاء هو الاختبار ويكون لجميع بني الإنسان .

ليعلم أباه يعقوب سر المصيبة التي وقعت ، وسر الابتلاء الذي فهمه يوسف بوضوح وجلاء ، ولم يفهمه أبوه بعد .

(وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ * قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ * قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ * قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ * قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ نَبِيٍّ عِلْمٌ عَلِيمٌ) (يوسف/69-76) .

يا أسفى على يوسف :

إذا لحكمة ما احتجز يوسف أخاه . وهذه الحكمة هي إيصال رسالة لأبيه ألا يتعلق بعد اليوم بأحد . وبالفعل وصلت الرسالة، ولكن هل فهم نبي الله يعقوب؟! (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَإِبيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذُكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (85) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يوسف/83-86) .

نعم فهم نبي الله يعقوب الرسالة ورد على أهله أنه يعلم من الله ما لا يعلمون . ولكن لماذا قال (يا أسفى على يوسف) ؟ هل عرف أن يوسف خلف هذا الحدث ؟ تبقى الإجابة مفتوحة ، ولنا أن نتخيل نبي الله يعقوب على يوسف لما فعله ، أو أن ، كما يقول بعض المفسرين ، المصيبة الجديدة ، ذكرته بمصيبته الكبيرة تبقى هذه أسئلة مفتوحة .

فهم نبي الله يعقوب الرسالة ، والفهم شفاء . (يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الصُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفْقِدُونَ * قَالُوا

تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (يوسف/87-96) .

بالفهم ارتد بصيرا ، وقال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون .

" كل ما تتعلق به ، تخسره ويسبب لك الألم "

ولكن ماذا بشأن ما ترفضه بشدة ؟ لماذا يلتصق بك ويسبب لك الألم ؟

قطب الرفض وعلاقته بالألم :

يقول القانون : إن كل ما ترفضه بشدة يلتصق بك ويسبب لك الألم . فكيف يحدث ذلك ؟ هذا يحدث لأن ما ترفضه بشده تفكر فيه تفكيراً سلبياً خالصاً ، وعليه فإن مستواك الذبذبي قد توافق معه تماماً ، وبالتالي فأنت وهو في حقل طاقي واحد . لهذا لا تستغرب إن التصق بك وظهر لك في كل مكان ، شخص تمفته بشده . إن هذا المقت حالة سلبية تثير شعوراً عالياً في النفس ، لا يلبث هذا الشعور أن يستجلب عليك الشبيه فوراً . وكذلك الحال بالنسبة إلى التطرف في رفض جماعة أو فكرة أو مذهب أو حتى مكان من الأماكن . في جميع حالات التطرف تلك ستحصل على عكس ما ترجوه لأنك ترفض بشدة وتطرف . ولفهم ذلك بتفصيل أكثر ندرس التطبيقات التالية :

ثنائية الحلال والضحية :

- بداية لنستذكر قواعد الثنائيات بشكل عام .
- كل ما في الكون ثنائيات إلا الله جل وعلا .
 - إذا تطرفت إلى قطب من أقطاب الثنائية ، ظهر لك الألم .
 - إذا تطرفت إلى قطب من أقطاب الثنائية ، انقلبت إلى القطب المضاد .
 - الراحة في الوسطية والاعتدال ، ولكنها فترة مؤقتة .
 - الارتقاء في الوسط ، هو العيش في قطب الأحديّة .

هذه القواعد الرئيسية النازمة لعمل كل الثنائيات ، ترشدنا في طريقنا لفهم الثنائية الخطيرة التالية والتي تعتبر من أشهر الثنائيات النازمة لحياتنا . فغالبية البشر فرادى وجماعات يعيشون هذه الثنائية ولا يعلمون عنها شيئاً ، ولا يعلمون أن جُلَّ معاناتهم لجهلهم بها . كما قلنا في مقدمة قانون ثنائيات القطبية ، إنه لا يكمن إلغاء قطب واحد من ثنائية ما ، وإذا حصل ذلك ، فإنك تكون قد ألغيت القطب الآخر . وهذا ما سنعمل عليه في هذه الثنائية المسببة للألم . وخلاصة ذلك تقول : إذا تخلصت من شعور الضحية اختفى الجلاذ ، والكلام يخص الأفراد والشعوب .

من المؤكد أنها صدمة عنيفة لكل الضحايا أن تقول لهم أنتم سبب الألم . وللتخفيف عنهم نقول لهم إنهم سبب من أسباب حصول الألم فيهم ولهم وعليهم . لكن الحقيقة أن الضحية سبب رئيس فيما حصل لها ، وما ظهور الجلاذ في حياة الضحية إلا نتيجة جذب قطب لمكمله في ثنائية جُدُّ مؤلمة .

ما هو دور الضحية في الاعتداء عليها ؟ بكل بساطة أتساءل : ما هو نوع ذبذبات الضحية عند حصول الحدث الذي وقع عليها ؟ فوفق قانون الذبذبات : ما يخرج منك ، يرد إليك مضاعفاً . إذا إن نوع ذبذبات (أفكار / كلمات) الضحية لحظة وقوع الحدث كان سلبياً حتماً والدليل هو الحدث نفسه ، فكل حدث تسبقه ذبذبات (أفكار / كلمات / نية) مشابهة له . ولكن هل هذا يعني أن الجلاذ بريء من الجريمة ؟

كلا ، الجلاذ عنصر فاعل في الجريمة أيضاً ، فهو قطب يبحث بلهث ونهم عن ضحية فقط ولا يقترب من غير الضحية . فالجلاذ لا يستشعر حياته إلا بمن يكمله ، وهذا ما سنراه في ثنائية الداخل والخارج ، حيث تقول هذه الثنائية إن الداخل يساوي الخارج . فالجلاذ يبحث عن يكافئه ويساويه بالذبذبات ، فيصب جامَ غضبه وجرمه على ضحية ، يراها الجميع أنها بريئة مظلومة ، وهي كذلك بعرف قوانين الجنايات الوضعية ، ولكن بعرف القوانين الكونية هي شريك فعال أيضاً .

إذا ما الحل للتخلص من ظلم الجلاذ وعنفه وسفهه ؟

الحل بالتخلص من قطب الضحية (تطهير العالم الداخلي للفرد والمجتمع) ، فيختفي الجلاذ . هكذا من دون استخدام قوة ، ومن دون تقديم ضحايا قرابين لآلهة الجهل المعشش في أذهاننا منذ عمر البشرية القديم . وهذا أفضل تطبيق لقانون استخدام طاقتك وليس قوتك . فلو تغير تفكير الضحية إلى التفكير الإيجابي (تغيير ما بالأنفس) لبدت طاقة هذه الضحية بالنقاء والاستشفاء ، ولم تعد ضحية أبداً . بهذا يختفي قطب من الأقطاب ويلحقه القطب الآخر . لا بل من الممكن جداً ، أن الضحية بتغييرها لنفسها ، تنجح حتى بالتأثير في طاقة الجلاذ فيتغير .

فالمطلوب أن تتخذ الضحية نفسها بإحداث تغيير حقيقي عميق سهل (باستخدام طاقتها وليس قوتها) ، وما لب هذا التغيير إلا تغيير نوع الكلمات المستخدمة سابقاً . فالكلمة السيئة تنقلب إلى كلمة طيبة ، فتنجح طيباً كل حين .

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبُئْسَ الْقَرَارُ) (إبراهيم/24-29) .

ولكن ماذا لو حاولت الضحية أن تستخدم قوتها ؟ في هذه الحال فإن الجراد سيستخدم قوة مكافئة بالشدة ومعاكسة بالاتجاه ، وستدخل المنظومة الكونية الشاملة لكل من الجراد والضحية ، عملية التدمير الذاتي ، وما هي إلا فترة زمنية بسيطة حتى ينتقل التدمير من البنى الطاقية الخفية إلى البنى المادية المرئية ... دمار الحضارة والمدنية .

إن استخدام الضحية للقوة في التغيير ، هو انقلابها من قطب الضحية إلى القطب الآخر . وكما قلنا سابقاً : إن التطرف في قطب من الأقطاب يؤدي بك إلى الانقلاب إلى القطب الآخر . فالجلاد يصبح ضحية وتظهر هشاشة قوته ، ولكن الضحية تصبح جلاداً وتظهر بشاعة خلقها الكامن فيها أصلاً .

الحل بالتوسط والاعتدال ، فلا أنت جلاد ، ولا أنت ضحية ، أنت إنسان متوازن تعرف واجباتك وتؤديها أولاً ، وتعرف حقوقك وتمسك بها ثانياً . والترتيب مقصود مقصود مقصود . ولهذا قال الحكماء : إن أداء الواجبات أقصر طريق لتحصيل الحقوق . من يؤدي واجبه قبل المطالبة بحقه ، فهو إنسان فعال إيجابي ، يتمتع بطهارة داخلية ، فتغيب عنه هوية الجراد والضحية ، فيعيش بأمان وسلام .

(وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (الأنعام/81-83) .

الجلاد مشرك بالله ، لأنه يتكبر ويتأله على خلق الله . والضحية مشرك بالله ، لأنه خاف غير الله . وكلاهما يتبادلان الأدوار إذا تطرفا في قطبي ثنائيتهما . فكلاهما خاسر . الجراد نمر من ورق ، والضحية ذليلة قبلت الهوان وما فرض عليها . راقبوا لغتكم لتعرفوا موقعكم على هذه الثنائية .

قصة :

يروى أنه في إحدى البلدات النائية ، انقطع المطر لسنوات عديدة ، فانتشر الفقر والجوع والبؤس بين الناس ، ودبت بينهم الفوضى والشكوى والاقتتال على لقمة العيش . فاستشار ملك تلك البلدة أحد الحكماء المنعزلين في قرية صغيرة مجاورة ، فقال له الحكيم أخرج كل من في بلدتك من الناس إلى البيداء وليبتهلوا لله في الصلاة والدعاء لهطول المطر ، فإن خرج كل من في بلدتك ودعوا الله فسيرحمكم الله ويعطيكم المطر .

أمر الملك قائد الحرس أن ينادي في الناس بالخروج للابتهاج والصلاة من أجل المطر .
وفعلا خرج الناس إلى البيداء وبدؤوا بالدعاء والابتهاج ، ولكن دون جدوى ... لم يهطل المطر .
الملك سأل قائد الحرس: هل خرج جميع الناس إلى الصلاة ؟

قائد الحرس: نعم يا مولاي ، أخرجنا الجميع ، باستثناء بعض النساء والأطفال والعجزة .
صرخ الملك: ليخرج الجميع غدا من أجل الصلاة والابتهاج .
وفعلا قام قائد الحرس بإخراج جميع الناس ، حتى النساء والأطفال وكبار السن والعجزة ،
وابتهل الجميع وتضرعوا إلى الله ليفك عنهم هذه العُمة التي كادت أن تودي بحياتهم . ولكن دون
جدوى ، لم يهطل المطر .

الملك مخاطباً قائد الحرس : هل أنت متأكد أنك أخرجت الجميع ؟
قائد الحرس : متأكد يا مولاي ، أخرجت الجميع ولم يبق أحد من أهل البلدة إلا وقد
أخرجناه ، ولم يتبق في البلدة إلا مَنْ في السجن من المجرمين واللصوص والحشاشين ، وهؤلاء
كما تعلم لا فائدة منهم في هكذا أمر .

الملك صارخاً: ليخرج الجميع غداً ، حتى مَنْ في السجن ،،، أريد إخراج الجميع .
وفي اليوم التالي خرج الجميع بناءً على أوامر قائد الحرس ، الذي بدوره أخرج حتى
السجناء وهم مكبلون بقيودهم وصلى الجميع وابتهلوا لله ، من دون جدوى لم ينزل
المطر .

صرخ الملك بقائد الحرس : هل أنت متأكد من خروج الجميع ؟ فالحكيم قال لي إذا خرج
جميع من في بلدتك للصلاة والابتهاج لله فسيرحمكم الله ويُنزِلُ عليكم المطر .

أجاب قائد الحرس ، وأكد لك يا مولاي أن جميع من في البلدة قد خرج ، ولم يبق منهم إلا
عامل الحمام وهو غريب عن هذه البلدة ، يعيش فيها منذ بضع سنين ، ولا أحد يحبه ، ولا أحد
يتعامل معه ، والكل يعرفه بأنه يدمن شرب الخمر والزنى .

قال الملك : قلت لك ليخرج الجميع كائنا من كان ، وهذه آخر فرصة لك .

وفعلا أخرج قائد الحرس الجميع ، وأخذوا معهم العامل في حمام البلدة رغماً عنه ، وهو في ثيابه الرثة ورائحته النتنة . صلى الجميع وابتهلوا لله . وما هي إلا بضع دقائق حتى هطل المطر ، وفتحت أبواب الخير من السماء ففرح الجميع واطمأنوا إلى رزق الله ورحمته . الملك وحده كان حائراً يتساءل ، لماذا هطل المطر بعد أن خرج معنا عامل الحمام هذا رغم كل ما يقال عنه من الموبقات ؟

أحضروا عامل الحمام إلي ، مخاطباً قائد الحرس .

ولما حضر سأله الملك : كيف تفسر لي هطول المطر بغزارة عندما خرجت معنا ، ولم يهطل من قبل رغم خروج الجميع حتى النساء والأطفال وكبار السن والعجزة ؟ أجاب عامل الحمام بهدوء ولطف : ومن أنا أيها الملك المبجل حتى أفسر لك هذا؟! صرخ الملك غاضباً : وراءك سر يجب أن أعرفه ، لماذا هطل المطر بخروجك معنا رغم كل ما يقال عنك ؟ ما هو سرّك ؟ وإن لم تخبرني فسوف أضعك في السجن وأهملك هناك حتى تجيبني بصدق .

قال عامل الحمام : أي سر أيها الملك المبجل؟! ومن أنا حتى يكون لدي سر؟ اسأل الجميع عني ، لا شيء يستحق الذكر في حياتي . الملك ، مصراً ومزمجراً : كما قلت لك ، إن لم تخبرني بسرّك وضعتك في السجن . قال عامل الحمام ، وهل لي الأمان إذا أخبرتك بسرّي؟ الملك : طبعاً لك الأمان كله ، قل ما لديك .

قال عامل الحمام : أيها الملك المبجل ، قدمت إلى بلدتك منذ بضع سنين ، ولم أجد عملاً إلا في حمام البلدة ، وعملي يقتصر على جمع النفايات وروث الحيوانات ووضعها أسفل بناء الحمام ، وإشعال النار فيها لتدفئة الماء . ولهذا ترى ثيابي ورائحتي على هذه الحال ، وجميع من في بلدتك لا يحبونني ولا يقتربون مني ، وغالباً ما يتهكمون علي . ولقد رأيت انتشار الخمر والزنى في بلدتك . وكلما حاولت أن أنصح الناس ليجتنبوا تلك الموبقات ، رفضوا كلامي ، واحتقروني ، وحقروا شأنني في النصيحة ، لما تراه من وضعي وحالي .

ولما حاولت مرات ومرات . اكتشفت أن لا أمل لي في ذلك ، فالكل يرفض أن يسمع مني نصيحة واحدة لوضعي وحالتي . فقلت في نفسي ، لقد أدبت واجبي ولم أستفد شيئاً ، هذا كل ما أستطيعه ، ولا أستطيع أكثر . وما باليد حيلة أبداً لأمثالي . وأمثالك غارق في ملكه غير مبال لما وصلت إليه حال البلدة من الفساد والانحطاط .

ومرت الأيام والشهور وأنا عاجز عن فعل شيء ، ودوماً أردد عبارة " ما باليد حيلة " . ولكن قلبي لم يطاوعني ، فقلت في يوم من الأيام : لا بد من وجود شيء ما أفعله ، أقلها أن

ألقى الله وأنا على العذر الصادق الذي ينجيني من السكوت . لا بد من وجود حيلة ما ؟ هكذا كنت أقول ... حتى هداني الله لحل من عنده .

فما عملته أني ومع نهاية كل يوم عمل أخذ أجرتي اليومية وأخرج من الحمام ذاهباً إلى بيتي المتواضع . ثم أشتري بعض الطعام ، وزجاجة خمر ، وأستأجر إحدى الفتيات العاملات في الفحشاء . وعندما أدخل البيت أترك الفتاة سجيئة في الغرفة حتى الصباح ، وأسكب زجاجة الخمر على التراب .

هذا كل ما أستطيعه ... أنا في كل ليلة أنقص من بلدتك شرب زجاجة خمر ، وفاحشة مبيئة ... هذا كل ما أستطيعه ، ولا أستطيع غيره .

" انتهت القصة "

" صاحبنا ليس جليلاً وليس ضحية ، وقد ترك أثراً لا يمكن إنكاره "

قانون الرغبة ، والعلاقة بتنائية اللذة والألم :

" إن الحقيقة تنتظر العين التي لا تعميها الرغبة "

شعار هذا القانون :

" كل رغبة يرافقها ألم إلا إذا كانت رغبته جل وعلا . ودرجة الألم متوافقة مع قوة الرغبة "

ومفاد هذا القانون : لا حياة ولا سعادة من دون رغبة ، ومع كل رغبة يوجد ألم . وشرح هذا القانون أن الطبيعة الجبليّة للإنسان أن يرغب بالظهور وإثبات الذات ، والتجلي في الأكوان والبروز أمام الأقران . فالنفس البشرية مفضرة على ذلك وهذا جوهر سعيها وبنائها وسبب نكساتها وآلامها . فكل رغبة يرافقها ثنائية اللذة والألم . أما إذا رغبت أن ترغب وتظهر وتتجلي من دون ألم فعليك ألا ترغب أبداً ، أو أن تتخلى وتفوض له وحده جل وعلا فهو يحقق فيك رغبته . وهنا تكون سابقاً في قطب الأحدية حيث لا ثنائيات .

القانون الأساس الرابع

قانون التغيير

شعار هذا القانون :

" إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ " (الرعد /11)

كما في الداخل كذلك في الخارج

إن من أهم مكتشفات علم سلوك الإنسان ، أن واقع هذا الإنسان نتيجة لما فكّر فيه سابقاً. وقد أيد علم الفيزياء هذه النتيجة وأثبت بما لا يرقى إليه الشك أنه إذا فكّر الإنسان بإيجابية ارتفعت ذبذباته القلبية والعقلية ، وبارتفاع ذبذباته تتحسن مشاعره ، فينتعش جهازه المناعي ويساعده على الشفاء . وكذلك الأمر بالنسبة إلى وضعه المادي والعلمي والأمني ، و ... الخ . وانطلاقاً من القانون الأول (قانون الذبذبات/الارتداد) فإن ما تفكر فيه يحدث سواء أرتته أم لم ترده . واعتماداً على القانون الثاني (قانون المسؤولية) القائل : إن كل ما يحصل لك وفيك وعليك فهو منك . ومروراً بالقانون الثالث (قانون ثنائيات القطبية) الذي أظهر أن التطرف في أي قطب من الأقطاب يظهر الألم في حياتك . فإن كل هذه القوانين الثلاثة ، تصب في القانون الرابع الذي يعتبر هو الغاية العليا لكل علم القوانين الكونية للنجاح والفلاح (قوانين تغيير ما بالأنفس) . فإذا أردت واقعاً جيداً ، ففكّر بطريقة إيجابية ينعكس عليك واقعاً جديداً إيجابياً . لأن واقعك السلبي السابق هو نتاج أفكار سلبية سابقة . وإن حصولك على واقع جديد هو شيء نابع منك ، فأنت إذا المسؤول عنه . وكما قلنا سابقاً أنت أيها الإنسان شريك فعال في صنع قدرك .

قبل ظهور هذه العلوم ، وقبل أن تعي البشرية مسؤوليتها عن أقدارها وأوضاعها ، قالت الكتب السماوية ذلك ، ففي الإنجيل : (اعلم أنت ، أنه كما تزرع تحصد) ، وفي القرآن الكريم الآية واضحة جلية تقول : (لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (الرعد/11) .

ويبقى السؤال هنا (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ) هل إرادة الله في القوم عشوائية ؟ أم أنها مرتبطة بما قيل قبلها في نفس الآية ؟ هل قدر الله فينا عشوائي ، هكذا يريد السوء لمن يشاء ، وهكذا يريد الخير لمن يشاء ؟

خلق الله الكون قائماً على قانون السبب والنتيجة ، وقد رنا ليس عشوائياً فينا ، وحاشا لله أن تدخل العشوائية في فعله . ولهذا قال الله مطمئناً لنا ومحملاً إيانا المسؤولية (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) (الليل / 5-10) .

إذاً إن العالم الخارجي للإنسان ناتج عن عالمه الداخلي ، وهذا ما يسميه البعض قانون الانعكاس أو قانون الصدى . ولعل هذه المعرفة هي أعلى معرفة كسبها الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض .

ويبقى السؤال المهم الآن : ما هو ما بالأنفس الذي يجب أن يتغير ؟ هل هو الأفكار ، أم الإيمان ، أم المشاعر ، أم السلوك ؟ لو رجعنا إلى ثنايا الكتاب لوجدنا أن كل هذا ممثلاً جذراً وأصلاً بالأفكار وطريقة التفكير .

فتغيير ما بالأنفس هو تغيير طريقة التفكير ، التي تقود إلى تبنيك أفكاراً جديدة غير التي قادتك إلى المتاعب . وتغيير ما بالأنفس ذو اتجاهين : فتغيير إلى الأحسن ، أي تفكير وأفكار أحسن ، وتغيير إلى الأسوأ ، أي تفكير وأفكار أسوأ . وفي كلتا الحالتين لك مطلق الحرية عليك كامل المسؤولية .

" إذا فكرت بالطريقة نفسها ، حصلت على النتائج نفسها "

الألم والتغيير :

إذا كنت تعتبر الألم طبيعياً ومبرراً ومأجوراً ، وتعتقد أن استمراره دليل على صحة فكرك وعملك ، فأنت لم تحدث بعد تغيير ما بالأنفس وجود الألم دليل وجود الخطأ... واستمرار الألم دليل استمرار غيبة وعيك ... والفهم شفاء .

وللحصول على فهم إضافي لقانون التغيير (تغيير ما بالأنفس) علينا دراسة إحدى الثنائيات المهمة والناظمة للكثير من جوانب حياتنا إن لم نقل لكل جوانبها من دون مبالغة . تلك هي ثنائية الداخل والخارج ، والتي ينطبق عليها كل ما انطبق على باقي الثنائيات الأخرى من قواعد خمس نظمت عمل الثنائيات بشكل شامل .

ثنائية الداخل والخارج :

لهذه الثنائية أربعة مبادئ رئيسية هي :

- 1- الداخل يساوي الخارج .
- 2- ليس لك أي تحكم بالخارج .
- 3- كل تحكمك في الداخل .
- 4- غير في منطقة تحكمك ، وتذكر رقم واحد .

ولشرح هذه الثنائية ، ولبيان خطورتها ، وفوائد فهمها وتنظيمها ، نقول :
ما تفكر فيه يحدث سواء أردته أم لم ترده . التفكير هو عالمك الداخلي ، والحدث هو عالمك الخارجي . **والخارجي انعكاس للداخلي في لحظة حدوث الحدث .** فلو ظهر لك ، في عالمك الخارجي ، شخص أناني سيئ في لحظة ما . فاعلم أنك أمام حالتين من عالمك الداخلي، إما أن في داخلك صورة مطابقة لهذا الشخص ، أي أنك أناني سيئ مثله . أو أنك في تلك اللحظة متطرف ضد هذا النوع من الأشخاص السيئين . وهذا ما تعلمناه من الثنائية الشهيرة، ثنائية التعلق والرفض .

وإذا رفضت هذا الكلام ، فما عليك إلا أن تراقب نفسك (أفكارك / لغتك / مشاعرك) عند حدوث الأحداث الإيجابية والسلبية ، أو أن تتذكر نفسك عند حدوث أحداث سابقة . هنا لن تجد بدأً من الاعتراف بأنك أنت من أظهر هذه الأحداث في حياتك .
إني أشبه هذا الكلام الغريب بوجهي القمر ، وجه مظلم ، وآخر منير . أي أنه عليك ألا تبتئس وتستكبر وترفض لأنني أتهمك بإظهار الأحداث السلبية ، فالأحداث الإيجابية أنت من أظهرها في حياتك . وبالتالي لديك سلطة التحكم التي تُظهر لك بعد اليوم كل خير .
ولأنك أنت المسؤول بسبب ما ذبذبتة من داخلك (ما فكرت به) فكل تحكمك فقط في عالمك الداخلي ، ولا سلطة ولا تحكم لك بعالمك الخارجي . ولكن بتحكمك بعالمك الداخلي فأنت تصوغ عالمك الخارجي . هي فقط زاوية التعامل مع الحدث .
فإذا تحكمت جيداً وإيجابياً بعالمك الداخلي ، فما عليك إلا أن تتذكر المبدأ الأول من مبادئ الثنائية القائل : الداخل يساوي الخارج .

" اعمل في منطقة تحكمك وتذكر أن الداخل يساوي الخارج "

مستويات التغيير :

رغم قناعة البعض بضرورة التغيير من الداخل ، لكن أغلبهم فشل في الممارسة ، رغم إيمانه وفهمه لفكرة التغيير من الداخل ، ورغم عمله على هذا التغيير . فأين تكمن المشكلة ؟ لا بل إن البعض عمل لسنوات وسنوات على التغيير من الداخل ولكن لم يحدث معه أي تحسن في عالمه الخارجي ، ثم اكتشف فجأة أنه لم يغير شيئاً . فأين الخلل ؟ كَمُنَ الخلل دوماً في مستوى التغيير الذي يجب العمل به وعليه . فالتغيير ثلاثة مستويات تختلف في العمق والتأثير والوسائل والنتائج . والمشكلة أن غالبية من خاض غمار التغيير عمل على المستوى السطحي فقط وهو مستوى الأعراض الذي لا يغني عن الحق إلا شيئاً قليلاً ومؤقتاً، ظناً منه أن هذا هو التغيير .

ولكن هيهات أن تحصل على ثمار إن لم تغمس بذورك في باطن الأرض . فما هي مستويات التغيير هذه ، وأي المستويات أنفع وأجل؟

المستوى الأول - التغيير على مستوى الأعراض :

إن عرض الشيء هو قشرته الخارجية ، والعمل عليها هو تغيير سطحي لا يغير شيئاً حقيقياً دائماً ، لا بل هو تغيير يبدد الموارد المتاحة من جهد ومال ووقت . وللأسف فإن الكثير من الناس يعملون عليه وهم غافلون .

ومن أهم أشكاله الطالب الذي يدرس فقط لينجح في الامتحان وليس ليتعلم . فهو سيمضي سنوات الدراسة ، ويحصل على شهادة ، ولكنه غير متعلم . هذه هي مؤسسات التعليم .

ومن أمثلة ذلك الذي يعالج عرض مرض من الأمراض ، دون التعمق في سبب المرض أو بيئته . مثل هذا المريض يحصل فقط على مسكنات تزيل ألمه ولا تزيل مرضه . ربما القضية تتفاقم حتى تخرج عن السيطرة ، ولا علاج بعد فوات الأوان .

إن كل خطوة نخطوها في الحياة هي تغيير من نوع ما ، فهناك خطوات خفيفة لا تترك أثراً للمسير ، وهناك خطوات تحفر أثرها عميقاً حتى في الأرض الصلبة . وإن من يمضي حياته عاملاً على مستوى الأعراض فقط فهو جاهل ببواطن الأمور .

هذا الجاهل يعتقد أنه لو غير ثوبه أو حتى لون ثوبه ، فقد غير ثقافته أو دينه أو عقله . وهؤلاء وصفهم القرآن بوصف دقيق فقال (يَعْلمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (الروم/7-10) .

المستوى الثاني - التغيير على مستوى الأسباب :

لكل ظاهرة من الظواهر إيجابية كانت أو سلبية ، أسباب أدت إلى نشوء هذه الظاهرة . وإن العمل على مستوى تغيير الأسباب هو عمل أكثر عمقاً وأكثر فاعلية ، ولكنه ليس الغاية العليا المنشودة عندنا . فلو حصل عندنا تزايد في حوادث السيارات والإصابات الناجمة عنها ، فإن علاج الإصابات هو عمل على مستوى الأعراض ، وفيه أنت لم تغير شيئاً ... أنت تنتظر وقوع الحدث لتعالج المصابين .

ولكن وضع قوانين صارمة للسير ، والإشراف على تطبيقها بحزم وأمانة ، هو عمل على مستوى الأسباب يخفف الكثير الكثير من الإصابات التي يجب ألا تقع ابتداءً . إن العمل على مستوى الأسباب يرفع كفاءة الأفراد والمؤسسات الخادمة لكل جوانب المجتمع ، وهي فعالة في التخفيف من تكاليف هؤلاء الأفراد وهذه المؤسسات ولكن ليست بالنسبة المطلوبة ولا بالنتيجة المطلوبة . فالمطلوب أن نغيّر البيئة التي ولدت الأسباب نفسها .

المستوى الثالث - التغيير على مستوى الجذور / البيئة :

" إذا أردت أن تقضي على البعوض ، جفف المستنقع "

جودت سعيد

إن تجفيف المستنقع عمل تغييري على مستوى الجذور / البيئة . فلا تضيق وقتك باستخدام المبيدات لمكافحة بعوض سيتكاثر مرة أخرى بعد فقس بيوضه الجديدة المتراكمة في مياه المستنقع . إن إنفاق الأموال على شراء مبيدات ورشها هو تبديد لهذه الأموال ، وخداع للناس ليس أكثر .

إن من أهم فوائد العمل التغييري على مستوى الجذور / البيئة هو تقليل التكاليف بعناصرها الثلاثة وهي المال والجهد والوقت . ولكن تبقى الفائدة الأهم هو إزالة الخطر من جذوره ، ففي هذه الطريقة نادراً ما يتكرر هذا الخطر .

إن تقدير المعلم ، مثلاً ، وإعطائه مرتبة مالية واجتماعية عالية ، هو تغيير على مستوى الجذور فيما يخص العملية التعليمية . وهو الطريقة الأنجع للتخلص من الأمية والجهل ، وحتى الفقر والمرض ... الوعي شفاء .

ولكي نفضّل في العمل على مستويات التغيير الثلاثة ، نداول الأمثلة التالية :

قصة علاج مرض فيروس الكبد الوبائي :

" ... أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ "

(سورة هود / 78)

في عام 2009 م ، وصل عدد المصابين بمرض فيروس الكبد الوبائي في سوريا إلى أربعمئة ألف مصاب سنوياً . ولأنه مرض وبائي ، فإن الحكومة تتكفل بإدارة شؤون علاجه ، وتحمل نفقاته ، ولا تترك أمره للعيادات الخاصة تعمل وحدها عليه ، إذ من الممكن أن ينتشر هذا المرض بسبب أي خطأ أو إهمال غير مقصود .

هذا ما قاله لي أحد الأطباء الأفاضل المختصين بهذا المجال وأنا أجري بحثاً اقتصادياً حول بعض التكاليف الحكومية .

- وقال أيضاً : إن المريض يحتاج إلى برنامج علاجي يحوي جرعات محسوبة بكميات محددة وبأوقات متناوبة خلال تسعة أشهر متصلة حتى يشفى من هذا المرض .
- سألته : وكم تكلفة البرنامج الواحد من الموازنة الحكومية ؟
- الطبيب : تقدر التكلفة بنصف مليون ليرة للبرنامج الواحد ، والدولة تتحملها كاملة .
- سألته : وما هي نسبة شفاء المريض بهذا البرنامج ؟
- الطبيب : لا تتجاوز نسبة الشفاء الـ 20 % من الحالات .
- سألته : والمرضى الذين لا يشفون ، ماذا يفعلون ؟
- الطبيب : القانون الحكومي يسمح لهم ببرنامج آخر مجاني على نفقة الحكومة .
- سألته : وإذا لم يشف المريض في البرنامج الثاني .
- الطبيب : القانون لا يسمح ببرنامج ثالث ، فإذا لم يكن المريض قد توفي خلال هذه الفترة ، فما عليه إلا أن يجري عملية زراعة للكبد . وهذا النوع من العمليات لا يجري في سوريا بعد .
- سألته : ما هو السبب الرئيس لهذا المرض ؟
- الطبيب : إن تلوث مياه الشرب يعد أهم أسباب هذا المرض .
- قلت : حسناً ، تريد أن تخبرني أن لدينا في سوريا 400.000 شخص مصاب سنوياً ، والبرنامج الواحد يكلف الحكومة 500.000 ليرة للمريض الواحد ، أي أن الموازنة الحكومية تتحمل مبلغ ملياري ليرة سنوياً (ناهيك عن النفقات الإدارية ، ونفقات أهل المرضى) لعلاج مرض واحد فقط .
- الطبيب : نعم هذا هو الواقع .
- قلت : وتريد أن تخبرني أن السبب الرئيس لهذا المرض هو مياه الشرب ؟

- الطبيب : نعم .
- قلت : أنتم الآن تعملون على التغيير في مستوى الأعراض فقط ، وهذا مكلف جداً وغير مجد على المدى البعيد . ماذا لو أننا عملنا على مستوى الأسباب فأصلحنا كافة محطات مياه الشرب في كافة المدن السورية ، وأنشأنا محطات جديدة في القرى والأرياف التي ليس فيها محطات لتنقية المياه ، ألن يكفيننا ربع هذا المبلغ أو نصفه ، ويدفع لمرّة واحدة فقط ؟
- الطبيب : كلامك صحيح ، ولكن هذا ليس من صلاحياتي . أنا أشرف على علاج المرضى فقط .
- أعدت كلامي مرّة أخرى : ولكنكم تعملون على مستوى الأعراض فقط . وهذا مكلف وجدواه ضعيفة مقارنة بالتكلفة الهائلة التي تتحملها الموازنة . ثم هناك حل أعمق ، وهو العمل على مستوى الأسباب . أي إصلاح محطات مياه الشرب التي ستخفف كثيرا من الإصابات بهذا المرض .
- الطبيب : قلت لك كلامك سليم ، لكن هذا ليس من صلاحياتي .

ملاحظة : كلام الطبيب صحيح مائة بالمائة ، ولكن أين مخطو وواضعو السياسات الصحية الحكومية ؟ أليس فيهم رجل رشيد ؟

- ثم سألت الطبيب : حسنا قلت لي إن عدد المصابين فقط أربعمئة ألف شخص سنوياً . ولكن جميع سكان البلد يشربون من المياه نفسها ، فلماذا لم يصب الجميع بهذا الفيروس ؟
- الطبيب : هناك صفة في هذا الفيروس وهي أن الإنسان من الممكن أن يحمّله دون أن يصاب به (حالة كمون) . ولكن بسبب ظرف ما ينشط هذا الفيروس ويبدأ المرض . لذا نحن نتوقع أن عدد من يحمل هذا الفيروس أكبر بكثير من عدد المصابين . وهذا ثبت بكثير من التحاليل التي كان القصد منها علاج أمراض أخرى ، فوجدنا المريض يحمل الفيروس ولم يصب به بعد .
- قلت : حسناً ، هل من الممكن أن أعرف ما هذا الظرف الذي يوقظ الفيروس في كبد المريض ، فيتحوّل من حامل له إلى مصاب به ؟
- الطبيب : على الأغلب أن الذي يصاب بهذا الفيروس أو يحمّله ثم يصاب به ، يكون قد مرّ بظرف نفسي حاد لعدة أسابيع متوالية . ومثّل هكذا أزمة لا تنتهي إلا بإصابة جسدية ما . حيث يعتقد العلماء أن الجهاز المناعي في مثل هذه الحالة يصاب بالخلل الجزئي أو حتى الكلي ويعجز عن أداء دوره في حماية الإنسان ، ويكون المرض .

- قلت : كأني فهمت عليك ، أن الإنسان إذا حافظ على توازنه الفكري والنفسي دائماً ، أو منع اختلال هذا التوازن لفترة طويلة ، ينخفض احتمال إصابته بأمراض خطيرة من هذا النوع ؟
- الطبيب : علمياً ، الجواب نعم ، وربما لا يصاب أبداً .
- قلت : حسناً ، إذا سأوصي في بحثي بصرف مبلغ الملياري ليرة سورية ، على التفتح والنمو الذهني والروحي والعاطفي عند جميع الناس . وسأعلمهم كيف يحبون ويفرحون ويطمئنون ولا يقلقون ولا يخافون من المستقبل والمجهول و... الخ . أي سأطالب بإحداث تغيير على مستوى الجذور / البيئة الداخلية والعقلية والنفسية عند جميع الناس . فهل هذا سيخفف من حجم هذا المرض وغيره ؟
- الطبيب : هذا مؤكد ، ولكن ، قال مازحا ، يبدو أنك ستقلل رزقنا !!!

" انتهت القصة الحقيقية "

التعليق :

يقول المؤرخ البريطاني " أرنولد توينبي " في حديثه عن المقارنة بين فلسفة الطب في الشرق والغرب ، يقول : إن الطبيب عندنا يتدخل بعد حدوث المرض . بينما في الشرق يحدث العكس تماماً . وينقل مقولة عن كونفوشيوس : أن الطبيب في الشرق يأخذ جعالة¹ مالية من كل أسرة في القرية ، فإذا مرض أحدهم ذهب إلى الطبيب ووصف له الدواء واستعاد الجعالة . إن التغيير على مستوى الجذور / البيئة الداخلية الفكرية واللغوية ، لن يقلل من رزق أحد ، لكن سيغير نوع وكيفية تحصيل الرزق فقط . إن التخفيف من آلام الناس الجسدية والنفسية عملٌ مقدّس ، فما بالك بمنع حدوثها . هذه الطريقة التي يجب أن نفكر بها ، وهذا هو أحد أوجه تغيير ما بالأنفس .

منذ أن عملت على هذه الأفكار وهذا البحث² ، وأنا أحلم بيوم يصبح فيه لدينا وزارة متخصصة بالتنمية الإنسانية ، وليس فقط مجرد مؤسسات خاصة متناثرة تضيع جهودها هباء . إن وجود مثل هذه الوزارة ودعمها بالموارد اللازمة والكافية ، سيخفف من الأعباء الملقاة على كاهل أي حكومة رشيدة .

¹ الجعالة : مبلغ مالي محدد ، نسميه اليوم بمصطلحاتنا ، الراتب .

² بحثٌ لم يكتمل بعد بسبب الظروف السائدة من عام 2011 ، وعنوانه المبدئي : دور تطبيق مستويات التغيير في إعادة هيكلة النفقات الحكومية .

إذا لماذا لا يحدث ذلك وهو واضح للعيان وسهل التطبيق ؟ الجواب : دائماً ابحثوا عن المستفيد من منع نشر مثل هذه الأفكار وتطبيقها ، سواء أكان من الساسة أو من رجال الأعمال ، ومصنعي الدواء ومستورديه من التجار والسماسرة الذين يجنون أرباحاً خرافية ، ما كانوا لينجحوا بجنيتها لو حصل الوعي الكافي عند الناس... الوعي شفاء .

" ... أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ " (سورة هود / 78)

أمارتيا صن ، وحل مشكلة التعليم في الهند :

يجب أن نرتدي أحذية الفقراء ، ونسير في شوارعهم ، ونفكر بعقولهم ، قبل أن نضع لهم خططاً ندعي أنها اقتصادية .
هرناندو دي سوتو - اقتصادي من أمريكا الجنوبية

في كتابه القيم " التنمية حرية " ، كتب الاقتصادي الهندي " أمارتيا صن " الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد : أن الحكومة الفيدرالية الهندية عانت من مشكلة النفقات الهائلة للتعليم، وأنه يجب على هذه الحكومة أن تبني في كل سنة عدداً هائلاً من المدارس في مختلف البلديات والأرياف بسبب التكاثر السكاني الكبير . وهذا أمر تعجز الموازنة الحكومية عن الالتزام به .
لاحظ أمارتيا صن¹ ، وهو يقدم دراسة استشارية للحكومة الهندية الفيدرالية ، أن جل المدارس المطلوبة هي للأرياف والقرى والبلديات النائية . وكانت تكلفة بناء المدرسة الواحدة ما يقارب 3000 دولار أمريكي ، وهذا مبلغ كبير في الهند . فسأل المسؤولين عن وضع خطط التعليم ، لماذا هذه التكلفة الباهظة لأجل مدرسة صغيرة في قرية صغيرة ؟
فكان الجواب أن هذه قيمة الأرض ، وتكلفة الإسمنت والحديد ، وأجرة عمال البناء ، ومختلف المصاريف الأخرى .

فقال لهم: ولكن سكان هذه القرى يعيشون في بيوت طينية ، ولن تفرق مع الطلبة إن درسوا في مدارس مبنية من الطين والحجر . ثم إن أهل كل قرية سيقومون بالتعاون لبناء المدرسة كما يفعلون حال بناء بيوتهم . ثم إنه يمكن تأمين الأرض بتبرع من جميع أهل القرية الراغبين بتعليم أبنائهم . وتوزيع عبء الأرض على الجميع لن يتقل كاهل أحد .

¹ لمزيد من الاطلاع ، راجع كتاب ' التنمية حرية ' - أمارتيا صن . سلسلة عالم المعرفة .

وهكذا خفض تكلفة بناء المدرسة الواحدة إلى 200 دولار . فتم بناء مئات المدارس بهذه الطريقة ، وتوفير الملايين من الدولارات التي يجب أن تصرف في مكان آخر ووفق أعمق مستوى من مستويات التغيير ، التغيير على مستوى البيئة .

وقد أرجع " أمارتيا صن " عدم قدرة المخططين الاقتصاديين على التفكير بهذه الطريقة إلى كونهم يعملون في مكاتب فاخرة مفروشة بالموكيت الأجنبي الراقى ، وأجهزة التكييف التي لا تنطفئ ليل نهار وتنسيهم البيئة الحقيقية الواقعية في الهند .

وأخيراً قال إنهم يفكرون بعقلية الأكاديميات الغربية التي تخرجوا منها ، وأنهم لم يستطيعوا التخلي عن التفكير بنفس منطق الدول الغربية ذات الوفرة المالية .

هل هذا هو السبب فقط ؟ أم أن هناك سبباً آخر يتعلق بعقود استثمارات تصل إلى المليارات من الدولارات ، تتقاتل عليها الشركات الأجنبية والمحلية الهندية . ناهيك عن العمولات والرشوات التي يتم دفعها في ظلام أروقة الحكومات الفاسدة

هكذا تضيع الحقيقة برغبة بعض أدعياء التنمية والترقي باتباع أسلوب دول بنت نفسها بمنطق القلة أولاً ، ثم بعد ذلك عملت على التوسع والرفاه بعد تحقيق النجاح الاقتصادي الباهر .

قمح أرض مصر المباركة :

عانت مصر في العقود الأخيرة من عجز مفرغ في الغذاء اللازم للأفواه المتزايدة يومياً . وكان من أهم عجوزات مصر الغذائية ، عجزها في مجال القمح الذي يعتبر الغذاء الرئيس لشعب هذا البلد الحضاري العريق .

في زيارة لجامعة القاهرة عام 2005 م ، دخلنا إلى مخابر كلية الزراعة ، حيث كنا على موعد مع أحد أهم أساتذة هذه الكلية العريقة . كان الوضع المادي للمخابر يرثى له ، فكل وسائل وتقانات البحث المخبري قديمة متهاكة لم أرها تصلح للعمل أو البحث العلمي بشيء .

وعند سؤال مضيفنا عن ذلك ؟

قال : هذه المخابر التي لم تعجبك ، هي التي طورت الخطة القومية لاكتفاء مصر من القمح في أربع سنوات .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : في هذه المخابر ، طورنا حبة قمح تناسب تربتنا الصحراوية ، وتتحمل الجفاف والظروف المناخية المحلية . وفي حال تطبيق الخطة فإننا بحاجة إلى أربعة أعوام حتى نحقق الاكتفاء الذاتي من القمح ، ونتوقف عن الاستيراد .

قلت : ولكن الأراضي الصالحة للزراعة في مصر لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من مساحة مصر كلها .

ضحك مضيفنا وقال : ومن أخبرك بهذه المعلومة الغبية ؟

قلت : هذا ما عرفناه من الكتب والمراجع ، ونحن ندرس الإمكانيات الاقتصادية لمختلف الدول العربية .

قال : هذا سابقاً ، أما الآن وبعد تطور العلم ، أصبح بالإمكان زراعة أرض مصر كلها ، وبأساليب زراعية حديثة متطورة قليلة التكلفة ، وبكميات مياه قليلة نسبياً إذا ما قورنت بأساليب الزراعات السابقة .

كانت معلومة صادمة بالنسبة إلي !!!

فكرت يا إلهي! طيلة عقود ومصر تستورد القمح ، وتستنزف موازنتها السنوية على المحصول الغذائي الرئيس للبلد ، وبسببه ترتعن قرارها السيادي للدول المصدرة لهذا المحصول . والآن أمكن تغيير كل ذلك .

قلت : وهل بدأت تطبقون الخطة .

قال : للأسف إن وزير الزراعة قد وضع الخطة في أحد أدراج مكتبة وأغلق عليها ... ولم يطبقها !!!...

واستمرت مصر تستورد القمح ، وتحل مشكلتها الغذائية بحل على مستوى الأعراض ، ولديها كل الإمكانيات لحلها على مستوى الجذور وليس فقط على مستوى الأسباب . إن تطبيق مثل هكذا حل ، سيخلق آثاراً ارتدادية إيجابية على الاقتصاد المصري يصعب حصرها على المدى القريب ، فكيف بحصرها على المدى البعيد .

إن حكومة تمتلك حلاً على المستوى الثالث العميق (مستوى الجذور / البيئة) ولا تطبقه ، هي حكومة خائنة ، أو حكومة مُستعمرة ذات إرادة مسلوقة ، أو كلاهما معا . وإن غالبية دول العالم المتخلفة تعمل - إذا عملت - على المستوى الأول من مستويات التغيير ، وإن إنفاق جل الموازنات الحكومية لإحداث تغيير على مستوى الأعراض ، هو تبديد لهذه الأموال وهدر لها . والحل دوماً هو كيف ننفق المبلغ نفسه ولكن بإحداث تغيير عميق ودائم ، وهذا لا يتأتى إلى بتغيير البيئة التي تولد الأسباب ذات الأعراض المختلفة .

متى يحين أوان التغيير :

" التغيير الآن وفي كل وقت ... ليس هناك أوان للتغيير ، التغيير دائماً "

بعد أن عرفنا المعنى الحقيقي للتغيير ، وعرفنا مستويات التغيير ، وعرفنا لماذا وماذا وكيف نغير . يبقى لدينا سؤال مهم : متى وقت التغيير ؟ متى يجب أن نغير ؟ ومتى يجب ألا نغير ؟ وهل صحيح أن التغيير مرتبط دوماً بالألم ؟

قصة حقيقية :

وقف النسر العجوز محتاراً في أمره ، فلا هو قادر كما في السابق على اقتناص فرائسه بنفسه ، ولا يوجد من يقنص له ويطعمه . حتى الجيف التي قد يجدها مهمله في الأرض ، هو غير قادر على أن يترمم عليها بسبب منقاره المتهدل المعقوف الذي لم يعد يساعده على تقطيع أوصال حتى الجيفة المتعفنة التي اصطادها أحد سباع الأرض ، وأكل منها ما أكل وأهمل الباقي .

لا يعلم ماذا يفعل ، وكل ما يشعر به أن نهايته قد اقتربت إذا بقي الأمر على حاله بهذا المنقار المعقوف ، وبهذه المخالب الضعيفة المتكسرة الطويلة والمتشقة ، وبهذا الريش الكثيف الثقيل المتلبد على جناحية وصدرة وكأنه عباءة ثقيلة ألقيت عليه لتستر ضعفه وتمنع تشوه الكون بمنظره المزري ، بعد أن كان ، هبة الله له ليحكم السماء ويجوبها طولاً وعرضاً ، ويققات فيها ومنها ما يشاء .

كل ما يعلمه أنه أصبح من الماضي ، وأن الجوع سينهشه قضة قضة إن لم يجد حلاً سريعاً ينقذ ما بقي من كينونته المتهالكة ، هذا إذا لم يصبح لقمة سائغة وصيداً سهلاً حتى لبغات الطيور التي كانت تُخلي أرض وسماء الكون الذي كان يحل به .

يتساءل ... ما العمل ؟ هل يفعل ما تمليه عليه قوانين جنسه ؟ أم يصبر لعل حلاً معجزاً يظهر فجأة يخفف عنه ألم ما ألم به . وكلما مرَّ به واحد من بني جنسه أكثر منه شاباً أو حتى هرمًا ، يذكره بالقوانين الكونية المخصصة لهم معشر النسور والتي يجب التقيد بها ، ويستحيل التحايل عليها .

وتمر الأيام إثر الأيام ومعاناته لم تزل تنمو وتتمو ، والمعجزة التي ينتظرها لم تحدث ، وربما لن تحدث . وتطبيق قوانين بني جنسه فيها ما فيها من الألم والمعاناة التي قد يفضل الموت عليها . ولكن هيهات حتى الموت يبدو أنه أصبح من المستحيلات .

وفي ليلة أمضاها يتضور جوعاً ، تنهشه فيها ذكرياته عن العظمة والهيمنة على السماء ، قرر النسر أخيراً ما لا بد منه بد ، إنه قانون الكون وبه يكون أو لا يكون .

مع خيوط الفجر الأولى ، استجمع البقية الباقية من قوته وعبر ثنايا السماء بثقل وعناء ، واعتلى قمة خالية ، رأى أنها الأعلى والأكثر ستراً لخلوته وتجربته المرة . فإن نجح ، سيعود سيّداً لسموات مملكته . وإن فشل ، فقد توارى عن الألسنة والعيون ولن يكون هناك من يلومه أو حتى من يترحم عليه .

ما إن وصل إلى قمته العالية الخالية ، التي اختارها لخلوته التي ربما تستمر إلى الأبد ، والتي قرر أن يفعل فيها ما لا تطيقه نفس مكرهة أو مخيرة ، ولكن لا مناص مما قدر عليه بطبيعة خلقه . بدأ فوراً بتنفيذ ما قرر تنفيذه رغم كل الآلام التي كان يعلم جيداً أنه سيعانيها ، ولكن كانت كلها أهون عليه ألف مرة مما عاناه في أيامه الأخيرة من جوع وضعف ، ونظرات احتقار وشماتة من رفاقه القدامى ، والأسوأ معرفته أن بعض الطيور الكواسر كانت تنتظر وقعته النهائية ، لتجعل منه وجبة شهية لصغارها التي تعدها جيداً لسيادة السماء ، وأقسمت أن تطعمها لحم سيد من سادة السماء المتوجين سابقاً .

توجه إلى صخرة صلبة مدببة وبدأ بنقرها بقوة وعزم ، متجاهلاً كل آلامه ، كابتاً صرخات لو خرجت من جوفه لأرعبت حتى صخور الجبل الذي كان يعتلي قمته . كسر منقاره الذي انتهت صلاحيته وتشوه منظره ، وأصبح عبئاً عليه بعد أن كان أحد أهم أسلحته مضاء وقوة . لقد فعل المستحيل الذي كان يخشاه ، قائلاً لنفسه : لا حياة مع هذا المنقار الهرم الذي كان سبباً لهزالي وضعفي وهواني بين النسور . كسره وجلس ينتظر نمو منقار جديد يصبح قوياً حاداً لامعاً يفاخر به بني جنسه ، ويرعب به كائنات الأرض والسماء .

ولكن بزوغ منقار جديد للنسر لم يكن بسهولة وسرعة بزوغ فجر يوم جديد . فنسرننا انتظر يوماً بعد يوم ، وأسبوعاً بعد أسبوع والمنقار الجديد لا زال صغيراً ينمو ببطء شديد ولكن بقوة وثبات .

مرت الأسابيع الطويلة ونمى المنقار الصقيل الحاد الجيد ، فقام النسر بتطبيق الخطوة التالية من التغيير الذي يوجبه عليه قوانين بني جنسه . بمنقاره الجديد بدأ يقضم مخالبة وينزعها من مكانها ويلفظها بعيداً غير مأسوف عليها . الآلام هذه المرة كانت مقبولة نوعاً ما ، ولكن نسرننا قرر فعل التغيير مهما كان الثمن .

بضعة أسابيع مرت ، شفيت فيها جروح النسور ، ونمت في أقدامه مخالب جديدة حادة لامعة كأنصال الخناجر المسنونة . يتأملها بكل فخر ، قائلاً : هذا ما أرجوه ، التغيير بدأ ينجح . وفوراً بدأ الخطوة الثالثة من خطوات التغيير التي يعرفها كل نسر .

بدأ بنتف ريشه السميك الثقيل الملتف حول صدره وأجنحته ، ذلك الريش الذي أعاقه عن الطيران لتلبده على صدره وخنقه لحرية تنفسه ، وتثقله لحركة جناحيه . نتفه ريشة ريشه ، وترك كل ريشه تذروها الرياح حيث شاءت ، فلا مرام له فيها الآن ، وقد كان فيما مضى يزينها

ويشذبها وينظفها ويرتبها ريشة ريشة . وكالعادة جلس ينتظر نمو ريشه الجديد ، ليعود سيّداً للأرض والسماء .

بعد خمسة أشهر ، شعر نسرنا العتيد أنه قد ولد من جديد ، وأنه آن أوان إنهاء خلوته وعزلته عن العالم . فلا سبب يدعو للاختباء والخلوة ، وقد أصبح قوياً معافاً بمنقاره الجديد ومخالبه الحادة وريشه الخفيف الجميل الذي يداعب نسمات القمة .

أقلع النسر من جديد بخفة ورشاقة ، وفرد جناحيه في الهواء ، فبدأت الريح تستجيب لإرادته، تحمله حيث شاء بخفة وأناقة وثقة . فجأة وبنظرة الحاد الثاقب ، لمح فريسة تعدو على الأرض ، لمحها من السماء العالية ، فضم جناحيه في وضعية الهجوم ، وهوى على فريسته بسرعة مذهلة وباتجاه واحد لا يعرف الانحناء ولا التردد .

" انتهت القصة - هل قلنا شيئاً "

إذا متى أوان التغيير ؟ الجواب : عندما يظهر الألم .

نعم إذا ظهر الألم وجب التغيير . فإنك إذا تألمت فهذا يعني أنك متطرف في ثنائية ما ، وبالتالي وجب العودة إلى وضع التوازن ، وهذا ما تقوله القوانين . أما من كابر وعاند ، فالقوانين الكونية كفيلة بإعادته إلى رشده أو سحله إلى جحيم جهله وعناده . (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء / 88 - 89) .

ولكن ألا توجد طريقة لتجنب الألم ؟ أي ألا توجد طريقة لإحداث التغيير المطلوب قبل الوقوع في الألم ؟ وكيف أعرف أن عليّ أن أغير من دون ألم ؟
ربما هناك طريقة واحدة فقط وهي الوعي بالقوانين الكونية وحسن تطبيقها تماماً كما أراد خالقها جل وعلا فلنتذكر أن الوعي شفاء . (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل / 97) . صدق الله العظيم .

بحمد الله ومنته انتهى الكتاب

2014 / 2 / 18